

مع تراثنا الإسلامى فى مقارنة الأديان

مع الجاحظ

فى رسالة

« الرد على النصارى »

د. إبراهيم عوض

مكتبة زهراء الشرق
١١٦ محمد قريد - القاهرة

١- رسالة الرد على النصارى

من بين رسائل الجاحظ رسالة عنوانها « الرد على النصارى » ، وقد نُشرت حتى الآن أربع نشرات على الأقل : النشرة التى طُبعت على هامش كتاب « الكامل » للمبرد ، ونشرة المشرق يوشع فنكل ، ونشرة الأستاذ عبد السلام هارون (وكانت كل من هذه النشرات الثلاث تضم مع الرسالة المذكورة غيرها من رسائل الجاحظ) ، ثم نشرة د. محمد عبد الله الشرفاوى (وقد طُبعت الرسالة فى هذه النشرة مستقلة) . وسوف يكون رجوعى فى هذا البحث إلى نشرة الأستاذ هارون ، وهى فى ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط بملاحظات التحقيق .

وهذه الرسالة عبارة عن فصول مقتطفة من كتاب للجاحظ فى الرد على النصارى قام باختيارها (واختيار أمثالها من كتب أخرى لأديب العربية وفيلسوفها العظيم) أديب غير مشهور اسمه عبيد الله ابن حسان (١) . ويذكر القاضى عبد الجبار أن للجاحظ رسالتين فى الرد على النصارى ، وهما « الرسالة العسلىة » و « المختار فى الرد على النصارى » (٢) . فهل هما كتابان مختلفان ؟ أم هل الرسالة الثانية هى مجرد مختارات من الأولى ؟ لا نستطيع أن نجيب على

ذلك ، فإن « الرسالة العسليّة » مازالت مفقودة حتى الآن فيما نعرف (٣) .

وفى الرسالة التى ندرسها فى هذه الصفحات يذكر الجاحظ بعضاً من شبه النصارى التى كتب له بها بعض الغيارى على الدين ممن أرادوا منه الردّ عليها ، ثم يقف على ذلك بنقضها . وأهم ما جاء فى هذه الشبهات أن القرآن الكريم يذكر تأليه النصارى لمريم عليها السلام مع أنهم ينكرون اتخاذها إلهًا على أى نحو من الأنحاء ، وأنه قد ورد فيه أيضا أن اليهود كانوا يقولون بينونة عزير لله سبحانه وتعالى ، وهم أيضا ينفون هذا ويجهّدونه . ومن ذلك أن هامان قد ذكّر فى القرآن الكريم على أنه من حاشية فرعون ، مع أن المعروف أنه كان فى زمن الفرس بعد فرعون بدهر طويل . كما جاء فى القرآن عن يحيى بن زكريا عليهما السلام قوله سبحانه وتعالى : « لم نجعل له من قبل سمياً » ، رغم أنه كان هناك قبله من اسمه يحيى . كذلك يعترض النصارى على ما ذكره القرآن الكريم من أن عيسى قد تكلم فى المهد (٤) . ويبتدىء الجاحظ ، قبل الدخول إلى نقض هذه الشبهات ، بمناقشة الأسباب والظروف التى جعلت رأى عامة المسلمين فى النصارى طبيعا على عكس نظرهم لليهود والمجوس ، ثم يشتى ببيان الغلط فى

هذا الموقف ، موضعا أن قوله تعالى : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ... » (٥) لا يعنى النصارى بوجه عام بل فريقا منهم مخصوصا كبحيرا والرهبان الذين اتصل بهم سلمان الفارسى قبل أن ينتهى به المطاف إلى شرب حيث التقى بالنبي عليه السلام وآمن به (٦) .

وقد أبدى ابن قتيبة سخطه على صنيع الجاحظ فى رسالته هذه فقال إنه قد عمل « كتابا يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين ، فإذا صار إلى الرد عليهم تجوز فى العجة ، كأنه إنما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين » (٧) .

ولا يقتصر رأى ابن قتيبة الشئ على هذا الكتاب وحده بل يشمل الجاحظ وأعماله كلها تقريبا ، إذ قال إنه « من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل » ، وأنه يقصد إلى الإضحاك والعبث استمالة للأحداث وشرب النبيذ ، ويستهزئ بالحديث . كما يأخذ عليه تأليفه الكتب فى نصره الشئ ، ونقيضه معًا ، ويرى فى ذلك دليلاً على اتقاء الإحساس بالمسؤولية لديه (٨) .

على أن ملاحظة ابن قتيبة حول ردود الجاحظ على شبهات النصارى إن صدقت على بعض هذه الردود (إذ إن بعضها موجز فعلاً

ويفتقر إلى ما عُرِفَتْ به كتابات الجاحظ من التوسّع وتقليب الأمر على وجوهه المختلفة وتفنيده بالأدلة الساطعة والحجج القوية البارة (٩) فإنها لا تدل على ما اتهم به الكاتب السنّي نظيره المعتزلى من أن الأمر يبدو وكأنه قد أراد تنبيه النصارى على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين . كيف ذلك ولأبى عثمان كثير من الأعمال التى ينافع فيها عن دين الله ، ككتاب « الرد على اليهود » وكتاب « الرد على من ألحد فى كتاب الله عز وجل » وكتاب « نظم القرآن » وكتاب « آى القرآن » وكتاب « دلائل النبوة » مثلاً ؟

وقد ذكر المرزبانى أن له كتباً كثيرة مشهورة جليلة فى نصرته الدين ، وإن سارع فقال إنه « ليس فى تلقيح العقول وشعذ الأذهان ومعرفة أصول الكلام وجواهره وإيصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلب كتب تشبهها » (١٠) . ثم إن فى رسالة « الرد على النصارى » نفسها أشياء جدّ قوية فى تسخيف اعتراضات النصارى وإبراز تفاهة مزاعمهم . ومن يدرى ؟ فلعله لو وصلتنا « الرسالة العسلىة » لوجدنا فيها حججاً أخرى وتفصيلاً أكثر فى الرد على هؤلاء القوم .

ومن الأشياء المهمة التى تُذكر له ، رحمه الله ، أنه كان من

أوائل من نهبوا إلى أن القرآن حينما قال : « ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى » لم يقصد جميع النصارى بل طائفة منهم فقط أبدت المودة تجاه الإسلام ونبيه . وسوف تناقش هذه النقطة فيما بعد ، ونبين وجه الخطورة فى الظن بأن القرآن يثنى على النصارى رغم تثليثهم وتألبيهم لعيسى عليه السلام وقولهم بتجسد الله تعالى ونزوله إلى الأرض وموته صلباً وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم للقرآن الكريم .

أما دفاع الجاحظ عن الشىء ونقيضه فهو لون من الترف الفكرى والحاسية العقلية التى ترى الجوانب المختلفة للأمور . وطبيعة الحياة أنه ما من شىء إلا ويمكن النظر إليه من زوايا متعددة . وقلما يوجد شىء كله خير فلا شر فيه ، أو كله شر فلا خير فيه . والقرآن الكريم نفسه يقول عن الخمر ، التى وصفها بأنها « رجس من عمل الشيطان » (١١) ، إن فيها مع ذلك منافع للناس (١٢) . وهو رغم حملته على أهل الكتاب من يهود ونصارى يعود فيستثنى منهم فريقاً صالحاً ليس فيه عيوب سائر قومه . كذلك تكررت فيه الحملة على كنود الإنسان وكفره وظلمه وروعوته ، ومع هذا فقد ذكر أن الله كرم الجنس البشرى وفضله على كثير ممن خلقهم تفضيلاً . وعلى أية

حال ، فهذه أسماء عدد من الكتب التي يمدح فيها الجاحظ الشيء ، ويذمه : « كتاب العثمانية » وكتاب « الرد على العثمانية » ، وكتاب « إمامة معاوية » وكتاب « إمامة بنى العباس » ، ورسالته « فى مدح النبيذ » ورسالته « فى ذم النبيذ » ، ورسالته « فى مدح الوراق » ورسالته « فى ذم الوراق » (١٣) .

إن فى الجاحظ بل وفى المعتزلة جميعا جسارة عقلية ، وهذا ما لا يرتاح إليه كثيرا ابن قتيبة السنّى المحافظ . ولا ننس أنه كان بين أهل السنة والمعتزلة خصومة فكرية ، وسياسة أيضا .

أمّا دعوى ابن قتيبة بأن الجاحظ كان يضع الأحاديث فتبدو بعيدة لا تُصدّق ، وكذلك القول بأنه كان يقصد الاستهزاء بالحديث النبوى الكريم ، إذ لا يفعل ذلك مسلم . إنما الأمر أن بعض العلماء قد يرون صحة حديث ما ، على حين ينفى صحته فريق آخر . وقد يخرج هؤلاء الأخيرون إلى السخرية ممن يقبلون الحديث ، بل قد يرون فيه إساءة إلى الإسلام ومناقضة لأصوله المجمع عليها ، فيظن من يقبلونه بل قد يدّعون عليهم أنهم إنما يستهزئون بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وحاشا مسلما أن يجرؤ على هذا ! ثم إن الجاحظ كان بطبيعته مرحا يحب الفكاهة والنادرة ، كما كان بارعا فى التهكم

بخصوم فكرته أيما براعة ، على عكس ابن قتيبة الوقور الذي يبدو
مما قرأناه له وكأنه لم يكن يعرف الضحك .

وليس معنى ذلك أننا نريد الغض من ذلك المفكر السني
الكبير ، فللرجل أيادٍ جليلة على الأدب العربي والفكر الإسلامي . وإنما
نريد أن نوضح البواعث التي حدثت به ، رحمه الله ، إلى تلك الحملة
الشديدة على أبي عثمان . وكلاهما بعدُ مهبطٌ لدينه ، حريص على
نصرته ، يقف بالمرصاد لكل من تتناول عنقه إلى النيل منه . لكن
لكل منهما بعد ذلك طريقته وأسلوبه .

وإذا كان ابن قتيبة قد اتهم طريقة الجاحظ في الرد على
النصارى فإن الغزالي قد اتهم هو أيضا بمثل ذلك ، إذ قال عن المنهج
الذي اتبعه في عرض مذهب الباطنية : « فجمعت تلك الكلمات
ورتبها ترتيبا محكما لتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى أنكر
بعض أهل الحق على مبالغتي في تقرير حجتهم ، وقالوا : هذا سعى
لهم ، فإنهم كانوا يعجزون عن نصره مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا
تحقيقك لها وترتيبك إياها » (١٤) .

والواقع أن هذا الأسلوب هو أسلوب المنصفين الواثقين بأنفسهم ،
فهم يريدون أن يعطوا لرأي خصومهم الفرصة كاملة ليعرف الجمهور كل

شئ، عنه قبل أن يشرعوا في الردّ عليه ، ثقةً منهم أنهم قادرون على
تفنيده تمامًا . وهذا الإنصاف هو سنة إسلامية ، فينبغي ألا تضيق
الصدور به . وهو فوق ذلك يمكن لصاحبه في قلوب القراء ، إذ
يلمسون بأنفسهم صدقه في عرض رأي خصومه ، وهذا من شأنه أن
يميل آذانهم إليه ويجعلهم يطمنون إلى ما يقول . وفي كلام الجاحظ
نفسه في الرسالة التي نحن بصددها دليل على هذا الذي نقول ، إذ
جاء فيها : « قد جعلنا في جواباتهم وقفةً منا مسألهم بما لم يكونوا
ليبلفوه لأنفسهم ليكون الدليل تاماً والجواب جامعاً ، وليعلم من قرأ
هذا الكتاب وتدبر هذا الجواب أنا لم نفتنهم عجزهم ولم ننتهز غررتهم ،
وأن الإدلال بالحجة والثقة بالفلج والنصرة هو الذي دعانا إلى أن نخبر
عنهم بما ليس عندهم وألا نقول في مسألتهم بمعنى لم ينتبه له منتبه
أو يُشرّ إليه مثير وألا يوردوا على ضعفائنا ومن قصر نظره منا شيئاً
إلا والجواب قد سلف فيه وألسنتهم قد مذلت به » (١٥) .

وأخيراً أختتم هذه الكلمة بما قاله القاضي ابن أبي دؤاد في
الجاحظ حين أتى إليه به مقيّداً بعد الإيقاع بغريمه ابن الزيات (الذي
كان الجاحظ منحازاً إليه على حين كان منقبضاً عن مجالس
القاضي) ، إذ مال ابن أبي دؤاد على أحد الحاضرين قائلاً له :

« أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه » (١٦) ، كما قال للجاحظ ذاته حين أخذ يدفع عن نفسه ما اتهمه به من كفران النعمة : « قَبَّحَكَ اللَّهُ ! ما علمتُك إلا كثير تزويق الكلام . وقد جعلت ثيابك أمام قلبك ، ثم اصطفيت فيه الكفر والتناق » (١٧) ، إذ لعلَّ بعض الناس يسارع إلى كلام ابن أبي دؤاد متخذاً منه دليلاً على فساد دين الجاحظ وصحة ما قاله فيه ابن قتيبة . والحق أن ابن أبي دؤاد إنما قال ذلك على سبيل التظرف والمداعبة . وليس أقوى برهانا على ذلك من أنه قد دعا بالحداد من فوره ليكر قيود أبي عثمان ، ثم أمر غلامه أن يصير به إلى الحمام ويُطِيط عنه الأذى وأن يعطيه ثَغْت ثياب وعباءة وخُفًّا . ثم لَمَّا عاد الجاحظ من الحمام أجلسه في صدر مجلسه وأقبل عليه قائلاً : « هات الآن حديثك يا أبا عثمان » (١٨) . وقد كان ابن أبي دؤاد من رؤوس المعتزلة ، ولا يُعَقَّل أن يكون رأيه سيئاً حقاً في واحد من أهم أسنة الاعتزال .

وفي الصفحات التالية سوف نقوم بعرض شبهات النصارى التي أوردها الجاحظ في رسالته وناقشها تفصيلاً ، مستعرضين أحيانا بعض أصدائها عبر العصور ومتوسعين في الرد عليها وتبيين عوارها ، مع الاعتماد أولاً وقبل كل شيء، على مقالات اليهود والنصارى أنفسهم .

الهوامش

- ١- انظر « رسائل الحافظ » / تحقيق عبد السلام هارون / ٣ / ١٣
- ٢- انظر القاسبي عند العباد / شئت دلائل نبوه / تحقيق د. عبد الكريم عثمان / ١ / ١٩٨
- ٣- نظر مقدمة د. محمد عبد الله لشرقاوي لكتاب صر بن يحيى بن سعيد « الصيغة الإيمانية في نصيحة املة الصرائية » / ٣١
- ٤- انظر « رسائل الحافظ » / ٢ / ٣٠٣ - ٣٠٨
- ٥- المائة / ٨٢ - ٨٥
- ٦- انظر « رسائل الحافظ » / ٣ / ٣٠٨ - ٣١١
- ٧- بن قتيبة / تأويل مختلف الحديث / ٥٩ .
- ٨- السابق / ٥٩ - ٦٠
- ٩- كذلك ليس في الرسالة ردًا على الشبهة التي آل د. مصطفى حميد محسن منه للاء
- ١٠- صر « معجم الأدباء » ، سابق الحموي ، ١٦ ، ٧٦ ، ١٠١ ، ١٠٧
- ١١- المائة / ٩٠
- ١٢- البقرة / ٢١٩
- ١٣- نظر أسماء هذه الكتب في « معجم الأدباء » / ١٦ ، ١٠٩
- ١٤- د. عبد الحليم محمود / نقد من الضلال لحنة الإسلام العراقي مع بحث في التصوف ودرسات عن الإمام العراقي / ١٢٨
- ١٥- رسائل الحافظ / ٣ / ٢٤٩ - ٢٥٠ . ومثل هـ تكلمت به وادعاه

١٦- معجم الأدياء / ١٦ / ٨٠

١٧- السابق / ١٦ / ٧٩

١٨- السابق / ١٦ / ٨٠

٢- عبادة مريم

وسدأ بأولى الشبهات التى ذكرها الحافظ ، وهى قول النصارى إن الدليل على بطلان القرآن الكريم وصاد أمر المسلمين « أما (نحن المسلمين) نذعى عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ولا يعرفونه من أسلافهم ، لأما برعم أن الله جل وعز قال فى كتابه على لسان بيته محمد صلى الله عليه وسلم « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم : أنت قلت للناس : اتخذواى وأمى انهيس من دون الله ؟ » (١) ، ونهم زعموا أنهم لم يديسوا قط بأن مريم إله فى سرهم ولا ادعوا ذلك قط فى علانيتهم » (٢) وحده الشهة مما لم أجد للحافظ ردًا عليها فى الربانة التى بين أيدينا ، ولا أدرى لماذا .

وفى « دائرة المعارف الإسلامية - Encyclopaedia of Islam » بعد كتب مادة « مريم » يجهد نفسه فى إثبات أن القرآن قد أخطأ حين جعل النصارى يتحدون مريم إله ، إذ قال إن الرسول ربما تأثر فى تصويره ذلك بما تولىه الكنيسة لمريم من تسهيل أو ربما كان ذلك منه استنتاجًا أساسه الخلط بين عيسى والروح القدس ، مما ترتب عليه خلط موضوع من المواضيع فى الثالوث بدت له مريم جديرة بشعلة (٣) .

وقد كنت قرأت ، فما اذكر الان ، لمستشرق بريطاني قسيس
يكبر ما جاء في هذه الآفة ، ويؤكد انه لم يحدث ن عند البصري
مريم في اى وقت من الاوقات ولم يكتب بهذا بل اهتم الرسول
صلوات الله وسلامه عليه بانه اذا كان ينفى مثل هذه المعلومات عن
البصرية من العوام والجهلة ، الذين لا يوثق بهم ولا يعول على ما
يقولون

كذلك فقد كتب الأسا شنودة في أواخر عام ١٩٧٠م ، قبل أن
يتولى البابوية ، مقالاً عن « القرآن والمسيحية » ذكر فيه الآية لقراءة
التي نحن بصددها ، وكرر بقوة ان تكون المسيحية قد قالت في يوم من
الايام بالوهية العذراء ، ثم ان قال ان الله « اذا كانت قد قامت
بدعة تنادى بتأليه العذراء ، فان المسيحية تحاربها بكل قوة » (٤) .
كما جاء ايضا في مادة « مريم » في « الموسوعة العربية
الميسرة » أنها ليست موضوع عبادة عند البصري لأن العبادة للحالق
وحده (٥) . ومن الواضح ان كاتب هذه المادة قد أراد تكذيب القرآن
من طرف حفى ، وإلا فما الذى دعاه الى هذا القول إن لم يكن النصارى
قد عبدوها وألهوها ؟

والواقع ان الآية القرآنية الكريمة لم تغدُ الحقيقة وأن كل من

يعترض عليها ، و يحاول لمحاها اما هو الممثل وقد ذكر ابن الطبريق ، وهو مؤرخ نصراني شديد التعصب ، أن من النصارى من كان يقول إن المسيح وأمه الاثنان من دون الله ، وهم طائفة « البربرية » (٦)

وفي مادة « Mary the Virgin » من « Dictionary of the Bible » (٧) ١ وهو معجم للكتاب المقدس شديد الصحامة اشترك في تأليفه علماء مسيحيون عربيون ، وفيهم كثير من رجال الدين (نعد انه كان من النصارى طوائف تعد مريم مع المسيح عليه السلام . بل انه حتى في « دائرة المعارف الإسلامية » نعد كاتب مادة « مريم » ، وهو نفس المستشرق الذي خطأ القرآن في هذه المسألة ، يعترف بأنه كان هناك فعلاً من النصارى من يعبدون مريم ويتخذونها إلهاً جاعلياً منها اقنوماً من أقاليم الثالث (٨) .

وفي مادة « Mary » في « موسوعة الديار والاحلاق : Encyclopaedia of Religion and Ethics » كلام كثير عن شعار العبادة لمريم ، وكيف نشأت هذه العبادة ثم تطورت على مر العصور عند الكنائس النصرانية المختلفة ، وكيف ترفع الصلوات إليها ويطلب منها ما ينسعى ألا يطلب من غير الله سبحانه ، ويخضع عليها من الصفات ما هو من حقه تعالى وحده .. إلخ (٩)

وفى « الموسوعة البريطانية » - Encyclopaedia Britannica - أيضا
حدث عن عادة لصاوى لمرم عليها السلام بوصفها « آله » ، اد
يصور لها وسجودها وتحنون اليها بالدعاء ، والمطالبي المحلنة لتحفظ
لهم (١٠) .

وفى « موسوعة كوليه » - Coliers Encyclopaedia - غير لص
التالى ، وهو عى عن أى تعليق : « وقد ترتب على كون مريم أم
آله بها صفت من السل جميع الشر ، واحتلت من حيث القداسة
المكانة العالية مباشرة لآسها آله . وقد كرمته الكيسة ومبرتها
بتمجيد خاص يختلف عن ذلك الذى خلعتة على القديس الأخرين
وكذلك بالعادة ، التى هى من حق الله وحده » (١١)

وقد أكد ول ديورانت « ان المسيحية لم تقص على الوثنية بل
تنتها . وانتقلت الطقوس اليوسافة الحفية إلى طقوس الفداس الحفية
الرهية (١٢) . جاءت من مصر أراء ، الثلاث المقدس وسها
جاءت عادة ام لطفل ومن فريحا جاءت عادة الام العظمى
وقصارى القول ان المسيحية كانت آخر شىء عظيم سدعه لعالم لوشى
القديم » (١٢) .

ويذكر رجل دس نصرانى هو الفمص ركري ابراهيم « ان هذه

لفرقة (يقصد الفرقة التي تعد مريم) ظهرت في القرن الخامس الميلادي وكان أصحاب هذه الدعة من الوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية ، وكانوا في وثنيهم يعبدون الزهرة ويقولون عنها « ملكة السماء » وعندما اعتنقوا المسيحية حاولوا لتقريب بين ما كانوا يعبدون وبين العقيدة المسيحية ، فاعتنقوا مريم ملكة السماء ، و الهة السماء بدلا من الزهرة ، ولذلك أطلقوا على أنفسهم اسم المريميين « (١٣)

وقد ذكر هذه الفرقة أيضا مؤلف بصراني آخر هو ركي شودة في كتابه « تاريخ الأقباط » (١٤) .

وهذا الذي يقوله أهل البيت العالمون بحدايه وحفايه لم يكن يحمله علماء الإسلام منذ وقت جد مبكر . فهذا قتادة ، وهو من التابعين ، يقول : « اجتمع سو إسرائيل فأخرجو أربعة نفر ، اخرج كل قوم عالمهم ، فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم : هو الله ، هبط إلى الارض فاحيا من أحياء وأموات من امات ثم صعد إلى السماء . وهم اليعقوبية فقال الثلاثة : كذبت . ثم قال اثن منهم للثالث قل أنت فيه . قال هو ابن الله وحى النطورية . فقال الاثنان : كذبت ثم قل أحد الاثنيين للآخر : قل فيه . قال : هو

ثالث ثلاثة . الله إله ، وهو إله ، وأمه إله . وهم الإسرائيلية ملوك
الصارى فقال الرابع : كذبت ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته
وهم المسلمون فكأن لكل رجل أتناع على ما قالوا ، فاقتنلوا وطهروا
على المسلمين « (١٥) . وقتادة يشير فى كلامه هذا إلى المؤتمرات
العقدية التى كان يعقدها الصارى فى القرون الأولى من تاريخهم
والخلافات التى كانت تنشب بين بطاركتهم فى هذه المؤتمرات وكيف
انتهى الأمر إلى تسلط الاتحاد الوثنى على عقيدة الموحدين .

وقد تحدث عن ذلك الراهب الإسكسلى أنسلم تورميذا ، الذى ترك
الصراية ودخل فى دير التوحيد وسقى عبد الله الترجمان ، إذ يقول
عن أهل ملته الأولى إنهم « يؤمنون بأن الله ، تعالى عن قولهم ،
ثالث ثلاثة ، وأن عيسى هو ولد الله ، وأن له طبيعتين . ساسوتية
ولاهوتية ، وهاتان الطبيعتان صارتا شيئا واحدا فصار اللاهوت إنسانا
محدثا تماما مخلوقا ، وصار الساسوت إلها تاما خالقا غير مخلوق
وعصهم يقول : الثلاثة هم الله تعالى وعيسى ومريم » (١٦) .

وقد ذكر هذه العرقة أيضا ابن حزم ، وقال (مثلما قال ابن
الطريق من قبل) إن اسمها « السراية » . كما أشار إلى أن
النصارى يسعدون (فيما يسعدون له من تماثيل) لتمثال مريم

ويعصومون له تديبا (١٧) .

كما أورد بعض علماء المسلمين ما يدعوا به النصارى فى صلواتهم مثل : « يا والدۃ الإله العدراء ، استعنى فى خلاصنا وامرحى يا والدۃ الإله . مباركة أنت فى النساء ، ومباركة ثمرة بطوك ، لأنك ولدت لب مخلصا يا والدۃ الإله مباركة لا تفعلى عن وسيلتنا . ونحن من لمعاطيب فى هذه الصلاة » ، وغير ذلك (١٨) .

وفى كتاب « المسطرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهدى والدكتور القسيس قدر » أنه كانت هناك فى القرون الأولى من تاريخ النصرانية فرقة تسمى « كولى رى دينس » تقول إن الآلهة ثلاثة : الأب ولايس ومريم ، وأن هذا القول ربما كان مكتوبا فى إنجيلهم (١٩) ويبدو أنها هى الفرقة التى ذكرها محمد حميد الله كما سترى بعد أسطر قليلة .

ويقول عبد الله يوسف على العلامة الهندى وصاحب الترجمة الإنجليزية الشهيرة للقرآن الكريم إن عبادة مريم ، التى ألغاه البروتستانت ، كانت واسعة الانتشار بين النصارى الأوائل فى المشرق والمغرب (٢٠) كذلك ذكر محمد حميد الله ، فى ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم تعليقا على آية سورة « المائدة » التى يدور الكلام

في هذه الصعقات حولها ، أن الإشارة في الآية خاصة بظانفة
الـ (٢٢٧) «٢٢٨» وحرفه من يصعد من مرتبة أعلى من مرتبة
لشربة (٢٢٩)

والخلاصة أن نقرأ حينما ذكر أن هناك من يعدون مريم أمما
يقرر حقيقة تاريخية لا سئل إلى الشك أو المرء فيها أم لا
يعرضون على ذلك ويكدسونه ، بصريح القول و للحن فيه ، فإن
اعراضهم هذه لا يعنى من الحق شيئا وسواء بعد ذلك اكن
لصديق هو الذين يعدونها أم ان فرقة صالحة لا تعد منهم ، كما
يدعى البعض ، هي التي كانت تقول هذا (٢٣٠) ذلك أن القرون لم
يتعرض لها السطة الفرعية ، إذ كل ما قاله هو ان من الناس من
كان يحبه غيبى وصريه الهن من دون الله ، مكتفيا بالإشارة إلى
فريقته التي يرددونها دون ان يهتم بتصديقهم

الهوامش

١- المائدة / ١١٦

٢- رسائل الحافظ / ٣ / ٣٠٢ - ٣٠٤

3 - E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam . Vol. V, p. 311

٤- الأب شودة / مقال « القرآن ونسبة » / مجلة « الهلال » المصرية /

ديسمبر ١٩٧٠ م / ٢٦

٥- الموسوعة العربية الميسرة / ١٦٨٩

٦- انظر ابن تيمية / الحواب الصحيح في بدل دين المسيح / ١ / ١٧١ - ١٧٢

و ٣ / ٢٢ ، ود على عبد الرحمن وافي ، لأصدار جديدة في الأدب السابقة

لإسلام / ١٠٧

7 - Dictionary of the Bible . ed. by William Smith . London . 1863

8 - E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam . Vol. V . p. 311 .

9 - Encyclopaedia of Religion and Ethics . ed. by James Hastings . Vol. 8 , pp. 474 - 480 .

10 - Encyclopaedia Britannica - Macropaedia . 15th ed . Vol. 11 pp. 560 - 562

11- Collier's Encyclopaedia . Vol. 15 . p. 470

١٢- ول ديورات / قصة الحصار / ترجمة محمد بدران / ١١ / ٢٧٥-٢٧٦

١٣- القصص زكريا إبراهيم / الله واحد في ثلاثوث اقدس / ١١

١٤- انظر د رموف شمس / يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء / ٢١٢

١٥- « تفسير القرآن » لعبد الرزاق بن هشام الصنعائي / تحقيق د مصطفى

مسلم / ٢ / ٨ ، وتفسير ابن كثير / ٣ / ١٢٢

١٦- أبو محمد عبد الله الترحمان النيوقي / تحفة الأريب في الرد على أهل

التصديق / دراسة وتحقيق وعشق عمر وبنو الداعوق / ١٣٩ - ١٤١

١٧- انظر « الفصل في الملل والآهواء والنحل » / تحقيق د محمد إبراهيم

نصر ود - عند الرحمن عميرة / ١ / ١١٠ و ٢ / ٢٠٥

١٨- انقراهي / الاخوية الفاضرة عن الأسئلة الفاضرة / تحقيق د بكر ركي

عوض / ٢٥٦ - ٢٥٧ وانظر ابن تيمية / الحواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / ٣ /

١٩٢ ، وكذلك ابن قيم الجوزية / هداية النجاري في أحوية اليهود والنصارى / تعليق

مصطفى أبو النصر الثلبى / ٢٦١ - ٢٦٢ .

١٩- انظر « المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهدي والدكتور القيس

مدر » / تحقيق د محمد عبد الفادر حليل / ٢٧١ - ٢٧٢

20 - Abdullah Yusuf Ali , The Holy Quran , 280 , n. 829

21 - Muhammad Hamidullah , Le Saint Coran , p. 161

٢٢- مثلما رأينا عند القمص زكريا إبراهيم ومن الذين ادعوا هذا أيع

إسكندر حيد المرشد الروحاني مركز النبية في لبنان انظر إبراهيم سليمان الجبهر /

معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التشيع / ١٤١ - ١٤٢)

٣- عَزِيزٌ

ويرغم النصارى أن من الأدلة على مطلق القرآن الكريم ادعاءه على اليهود القول بأن عَزِيزًا ابن الله ، مع أن اليهود لو كانوا قالوا ذلك ما جحدوه من دينهم ولا أنكروا قولهم إياه (١) .

والذى ورد فى القرآن عن هذا الموضوع هو قوله جل شأنه : « وقالت اليهود : عَزِيزٌ ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم يضاهنون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله ! أئى يُوَفِّكون ؟ » (٢) . وسب نزول هذه الآية فيما يخص باليهود أن بعض زعمائهم قد أتوا النسي صلى الله عليه وسلم يحاجوه ويدكرون السب الذى يمنعه من قول ما يعرضه عليهم من الدخول فى الإسلام ، قائلين : « كيف نتبعك وقد تركت قتلنا وأنت لا تزعم أن عزيزا ابن الله ؟ » (٣) .

ومن هذا يتيسر أن المير قالوا بذلك كانوا من يهود المدينة وأن القرآن قد سحل ذلك عليهم وقد سمع أولئك اليهود ما نعه عليهم القرآن وحرسوا ولو أنهم يقولوا هذا لاعتصموا على النسي عليه السلام ولشتموا عليه وعلى الفرر الكريم ، إذ إن هذه فرصة ثمينة بل سيف تدر قتل ما كانوا يهملونه بل بالحرى كانوا يمنشقه ليطعموا

به الدين الجديد طعنة محلا، تكفل لهم الانتصار عليه في الحرب
 المسية المتأجلة التي كانوا يشتمونها على محمد صلى الله عليه وسلم .
 فالرغم إذن بأن اليهود قد أنكروا ذلك هو رغم باطل ، فهم لم يسكروه
 ولو كانوا قد أنكروه لتحدث عنه القرآن أو لروته على الأقل لأحاديث
 وكتب التاريخ ، كما حدث مع عدى بن حاتم ، الذي أبدى دهشته لقول
 لقرآن ، عقب الآية السابقة مشددة ، عن أهل الكتاب إنهم « اتعنوا
 حمارهم ورجلهم أربابا من دون الله » . وقال للسلي على الله عليه
 وسلم بهم لم يكونوا يعبدهم ، فيس السلي عليه السلام أنهم قد
 حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، وهذا هي عبادتهم
 بآلهم (٤) ومعروف أن موسى قد سح شريعة التوراة (٥) . وأن
 كنة الأنجيل قد ادعى أن المسيح قد جعل ما يحله رسله على الأرض
 محلولا في لسا، وما يرتبط به على الأرض مربوطا في السماء (٦)
 كما أن السموات كان يسمون لرعايتهم صكوك العفران ، والعفران هو
 من أحصى حصائص الله سبحانه وما زال المصدري حتى الآن يذهبون
 إلى لقاسمة ليعترفوا لهم بما اجتموه من مآثم فيعفروها لهم وما
 أكثر السموة والغيتيات التي تصعد التيسير في الكسبية على انفراد
 فيحلون بهم في حوزة الصامت المظلم ويسمع منهم تفصيلات الفواش

التي يفترسها دون حياة ، من الطرفين ! ودعا مما يمكن أن يحدث في مثل هذه الظروف المثيرة المريعة كما أن الصاري يسعدون لتماثيل قديسيهم ويصومون لهم . أما اليهود فقد أجمع أحبارهم مثلاً على أن من يشتم الله أو الأنبياء ، يؤذ ، أما من يشتم الأحرار فيُقتل (٧) وفي التلمود أن حلاقاً علمياً وقع بين الله وأحرار اليهود حكم فيه أحد الحاخامات لصالح الأحرار ، واعترب الله بحظنه (٨) ، وأنه سبحانه يستشير الخيامات عندما تقابله مشكلة (٩) ، وأن معافة الحاخامات هي بمثابة معافة الرب نفسه (١٠) ، علاوة على تبديل التلمود كثيراً من شرائع التوراة ... إلخ .

وقد ذكر الحافظ أن فريقاً من بقايا القائلين بنوة عزير لله سبحانه كانوا لا يزالون في عصره باليمن والشام وداخل بلاد الروم (١١) . وقد ورد عند ابن حزم أن الذين كانوا يقولون ذلك هم طائفة الصدوقيين باليمن (١٢) وكانت بينه ، رحمه الله ، وبين مواطئه من النغيلة اليهودي معادلات من هذا النوع ، فلم لم يكذبه فيما قاله من أن طائفة من بني دينه تدبر بنوة عزير لله ؟ وقد رأينا قبل قليل كيف أن الصاري الذين يعملون على تخطئة القرآن ، ومنهم قساسة ومبشرون متبحرون في دينهم ، مازالوا يدعون أنه لا يوجد

نصراني واحد يعبد مريم ، وذلك رغم ثبوت صحة ما قاله القرآن الكريم في هذا الصدد. وقد أسلم عدد من يهود المدينة على يد النسي عليه السلام ولم يحدث أن احداً منهم قد استعرب هذه الآية أو اتوصحها النسي مجرد استصحاب .

وقد جاء في الروايات أن ابن عباس رآه يقرأ يومئذ بعد الله بن سلام (وهو يهودي أسلم عقب هجرة النسي عليه السلام إلى المدينة) في قول الله تعالى : « وقالت اليهود : عزير ابن الله » وسأله : لم قالوا ذلك ؟ فذكر ابن سلام ما كان من كتابة عيسى التوراة للنبي إسرئيل من حفظه وقول بني إسرائيل حينذاك . لم يستطع موسى أن يأتيها بالتوراة إلا في كتاب ، أما عيسى فقد جاءها من غير كتاب ، فعدت فيه طوائف منهم وقالوا إنه ابن الله (١٣) .

وقد أقر القسيس الذي ناظره فخر الدين الرازي في أمر الإسلام والنصرانية بأن بعض اليهود قد قال ذلك فعلاً . وكل ما عقب به هو أنه « لا يلزم من قول واحد في وقت ما قول الجميع في جميع الأوقات » (١٤) . وقد وضع الرازي له أن قوله تعالى : « وقالت اليهود : عزير ابن الله » لا يقتضي فعلاً أن يكون إخباراً عن الكل ولا في كل وقت (١٥) . وقد اتفق المعسرون على أن إسناد هذا لقول

اليهم يراد به بعضه لا كله . وذكر رشد رصا أن القاعدة في الأقوال والأفعال المسددة في القرآن إلى حملتهم وعم أنها صادرة عن بعضهم فقط هي الإشارة إلى أن الأمة تُعَدُّ متكافلة في شؤونها العامة ، وأن ما يفعله بعض الفرز والجماعات أو الرعما ، يكون له تاثير في حملتها ، ومن المكر الذي يفعله بعضهم بؤاحذ الجمهور به ما داموا لم يسكروا عليهم أو يحاولوا إرائه . وذلك مثلما يصيب الربا ، مجموع الناس ولا يقتصر على مرصاه الأصليين (١٦) على أنه يمكن أن تكون الألف واللام لداخلة على لفظة « اليهود » في الآية السابقة هي « ال » العهدية لا الحسبية ، ويكون اليهود فيها من ثم يهودا معيسى ، وليس كل ليهود ، أو يكون الكلام على التوسع كما يحدث كثيرا في مثل هذه الحالة .

وفي « تفسير عثماني » (باللغة الأوردية) للعلامة شير احمد عثماني أن عالم حديا اسمه الحاج أمير شاه حار لقي في فلسطين ، أثناء زيارته لها (قبل مصع عشرات من السنين) ، بعض ليهود ممن ينتمون إلى فرقة اسمها « العَرُيرَيون » لا تزال تعتقد أن عرسا أس الله (١٧) وقد رأنا قتل قليل ما ذكره أس حزم من أن الدين كانوا يقولون ذلك كانوا يعيشون في البصر وحدا وذاك

يوكدان ما جا، عند الحاحظ من أن بقاياتهم كانوا باليمر والشام وبلاد
لروم

وقد ذكر د عبد المعم الحمصى فى « الموسوعة القدية للفلسفة
اليهوديه » حصعة اليهود الذين يزعمون أن عريرا هو ابن الله ، وهم
طائفة الصدوقيين (١٨) .

ولعل بعض الناس يستعربون ان يكون من اليهود من يسب لله
اب ، اد لمشهور أن الذين يقولون بذلك إنما هم النصارى ، أما
اليهودية فديانة توحيد ولكن الحقيقة ليست كذلك ، لأنه إذا كان
النصارى قد ادعوا أن المسيح ابن الله فإن اليهود قد ادعوا هذه النسوة
لاكثر من شعص وما عرّير إلا واحد من هؤلاء ، وقد ذكره لقرآن
بالاسم لأن بعض يهود المدينة قد عيسود فى جدالهم مع النبى صلى الله
عليه وسلم تعيينا .

ومن ذلك ما جا، فى العهد القديم من « أن أبنا، الله رأوا
بنات الناس أنهن حسبات فاتحدوا لأنفسهم نساء من كل ما احتاروا .
وبعد ذلك .. دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم
'ولادا' » (١٩) كما نسب مؤلفو هذا الكتاب إليه سبحانه زورا قوله
لبنى إسرائيل : « أنتم أولاد للرب إلهكم » (٢٠) ، وكذلك قوله عن

إسرائيل إنه « ابنه البكر » (٢١) وفى سفر « أيوب » نقرأ أنه قد « جاء بنو الله ليحثلوا أمام الرب » (٢٢) ، و « ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع سى الله » (٢٣) ويقول كاتب المزامير (٢ / ٧) إن الله قال لداود : « أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك » . وتجعل الآية ٢٦ من المزمور التاسع والثلاثين لله نسلًا وتتكلم الآية ٧ من المزمور التاسع والثمانين عن « أبناء الله » . وفى المزمور التاسع والثمانين يقول الله عن داود عليه السلام فيما يزعمون : « هو يدعونى أنى أنت ... أنا أيضا أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض » (٢٤) . وفى « إشعيا » يصعون على لسان الله الكلام التالى : « لانه يُولد لنا ولد ونُقْطِى ابنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلهنا قديرا أبنا أبديا رئيس السلام » (٢٥) . ويستهل إشعيا لله قائلا : « ابن غيرتك وجسروتك . زفير أحشائك ومراحك نحوى امتنعت فإنك أنت أنونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرك إسرائيل . أنت يا رب أنونا وليتنا منذ الأبد اسمك » (٢٦) . وفى سفر « إرميا » يقول كاتبه مسندا الكلام إلى الله تعالى : « صرتُ لإسرائيل أبًا ، وأفرام هو بكرى » (٢٧) . وفى « هوشع » يوصف بنو إسرائيل بأنهم :

« اسماء الله الحسنى » (٢٨) وفي التلمود أن أرواح اليهود تتميز عن
 سائر أرواح الشر بأنها حرة ، من الله مثلما أن الانبياء حرة ، من
 الله (٢٩) وغير ذلك كثير وقد سجل القرآن رعبهم (هم
 والصارى) أنهم « اسماء الله وأحاذه » (٣٠)

ولما يكتف اليهود بأن جعلوا لله أسماء ، بل جعلوا له سبحانه
 ايضاً روحاً ، اذ جاء في المزمور الخامس والأربعين حسب لترجمة التي
 كانت تحت يد ابن حرم ، رحمه الله ، قول صاحب المزامير يحاطب الله
 تعالى « وقفتُ زوجتك عن يمينك وعقاصها من ذهب أيتها الابنة
 اسمعى ومبلى بأذنك وانصرى واسمى عشيرتك وبيت أهلك فيهلك الملك
 وهو الرب والله ، فاسعدنى له طوعاً » (٣١) وقد غير مترجمو
 السورسنتات في العصر الحديث ذلك فحددوا كلمة « زوجتك » ووضعوا
 مكانها لفظة « الملكة » ، كما استدلوا بعبارة « وهو الرب والإله »
 قولهم ، « لأنه هو سيدك » (٣٢) ومع ذلك فمارك نقرأ في العهد
 القديم مثل هذا الكلام .

من ذلك ما نسب إليه تعالى في « إرميا » (٣١ / ١ - ١٠)
 يحاطب الامة اليهودية : « إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده
 وصارت لرجل آخر هل يرجع إليها بعد ألا تتخس تلك الأرضُ

نحاسه . اما انت فقد ربيت باصحاب كثيرين لكن ارجعى الى
 يقول الرب . لست من الان تدعى با أنى اليك صدى ت
 وقال الرب . هل ربيت ما فعلت العاصمة اسرائيل . اطلقت الى كل
 حبل عال وإلى كل شجرة حصرا . ورنيت هناك . فقلت بعدما فعلت كل
 هذه ارجعى الى . فلم ترجع . فرأيت انه لاجل كل الآثام ذا ربت
 العاصمة اسرائيل فطلعتها ، اعطيتها كتاب طلاقها لم تحب الحسنة يهوذا
 احتها بل مصت ورتت هى ايضا . وكان من هوان زناها انها حبت
 الارض ورتت مع لحرر ومع الشجر . وفى كل هذا اصحا لم ترجع .
 احبها الحاسة يهوذا بكل قلبها بل بالكذب ، يقول الرب .

ومثله ما رعه ، فى سفر « حرقال » (١٦ - ٧ - ٢٧) .
 انه تعالى قد قاله ايضا لامة اليهود : « جعلتك ربوة كسات لعفل
 فربوت وكسرت وبلغت زينة الازيان . يهد شدياك وست شعرك وقد كنت
 عريانة وعارية . فمرت بك وراينك وادا زسك رمى الحب . فسظت
 ديلى عليك وستر عورتك وحلفت لك ودخلت معك فى عهد ، شون
 السيد الرب ، فصرت لى ، فحمتك بالماء . . ومسحتك بالزيت
 والسك مطرزة وعلقتك بالنحاس واررتك بالكنار وكسوتك ببر . وحليت
 فوضعت أسورة فى يديك وطوقا فى عنقك . ووضعت حرامه فى عنقك

وافراطاً في اذنبك مباح حصل على راسد فعلت بالذهب بالفضة
ولبس الكمال والر المطرر وأكلت السم ولعسل والريت وحملت
حدا فصلحت لمملكة فاكلت على حمالك وريت على سمك
وسكب رباب على كل عام فكان له وحدث من شاك وصعت
لنفس مرتفعات موشاة (٣٣) وريت عليها سر لم يات ولا يكن
واحدث متعة ريتك من دهمي ومن فضتي التي اعطيتك وصعت
لنفس صور دكور وريت بها . في راس كل طريق بيت مرتفعتك
ورجت حمالك وفرجت رحليك لكل عام واكثر رباب ابنتها الروحة
اندسقة تاحد أحسيس مكان روحها لكل لروسي يعطون هدية اما
انت فقد اعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم لباتوك من كل جانب
للمنا بك ... »

وفي « موشع » ١ ٢ ٢ ١٦ ، يسب الكتاب الى الله
سبحه لكلام التالي : « حاكموا اسكم حاكموها لاپ ليست امراتي
وبا ليست رحلي لكي تعزل رباحا عن وحنها وفصقها من من ثديها
للا احدها عريانه واوقفها كسوء ولادنها ولا أرحم أولادها لانهم
أولاد رني ، لأن أمهم قد زنت ... لانها قالت أدهن ور ، محبي لمين
يعطون خمر ومسي صوبي وكاسي واشرنى فنقول ذهب وارجع الى

رجلى الازل لأنه حينئذ كان خير (٣٤) لى من الآن وهى لم تعرف أنى أعطيتها الفصح والمسطار والريث وكثرت لها قصة ودها جعلوه لثقل . لذلك ارجع وأخذ قمحى فى حبه ومسطارى فى وقته وازرع صوفى وكسى اللدين لستر عورتها . والآن اكشف عورتها ولا يتقذى احد من يدى . واحرب كرمها وتيها اللدين قالت هما احترى التى اعطايتها منعى . واعاقنها على أمام بعلية التى فيها كدت تسخر وتترس بحواتمها وحليها وتذهب وراء محبيها وتناسى انا . يقول الرب لكن هانئ اتمتها وادهب بها الى السيرة والاطفنها . واعطيتها كروم من هانئ . ويكون فى ذلك اليوم ، يقول الرب ، انك تدعنى رجلي ولا تدعيني بعد بعلى »

ان الانسان ، حينما يقرأ هذا الكلام ، لا يتمالك نفسه من الرث . مثل هذا الروح النواله المسكين الذى مرعت روحته الرابعة الحبور شرفه فى الرعام ، ولكنه لا يستطيع عنها سلوا رعب كل ساءه الفبيح لها وتهديداته اياها بالهجر والقضيحة !

وقد حدد ارثر هرنبرج (فى كتابه « Dualism ») لرمز المكان اللدى ته فيها عدد الرواح بين الله والراس حسب افراءات اليهود فقد ان ذلك كان فى ساء . حين تحلى الله لموسى وسو

إسرائيل واصاف ان السماوات والارض كانت شهود ذلك
العقد (٣٥) ويقول ول ديورانت ان « نشيد الاشاد » المنسوب
لسلمان (وهو سبد يتوق قصاد السعراء الداعرين في غربه واثارته
للشبهات واعرابه بالقصور) هو في اعتقاد اليهود تربية موحاة من
اسماء لتصور تصويرا محاربا اقتران يهود باسرائيل عروسه
المختارة (٣٦) .

هذا عن سوة عزيز لله التي ادعى له فريق من اليهود وحكما
عنه القرن الكريم لكن من غريب هذا ؟ الشاع من المفسرين
والمورخين المسلمين (٣٧) أنه عبرا ، التي يقول بعضهم إنه كان سينا ،
وبعضهم به مجرد كاهن او كني . واعلمهم يسعون اليه به هو لدى
عاد كتابة التوراة بعد ثلثها . وبعضهم ، كاليغنوس ، يقول إنه حفر
عنها في سر كانت مطمورة فيه واستخرج وسحب من حديد مع كتب
الانبياء الأخرى .

ويقول ميوزا (في كتابه « رسالة في اللاهوت والسياسة »)
ان عمر سما جمع الروايات المحلقة من الكتب و الماثورات السعبيه
المتداوله على الألسن وسحبها دور تحقيق او ترتيب . ومن هنا جاءت
لصوص في معظم كتب العهد القديم مفروصة ومتعارضة ، لأن

مصادره متعددة ولأن الكتاب الدس كانوا يعملون في جمعها تحت إشرافه لم يطلع أى منهم على ما كتبه الآخرون (٢٨) ويؤكد د فؤاد حسين على أن العهد القديم لم يُجمع كله على يد عزرا بل دليل وجود 'سدر فيه متاخرة عن زمنه كسدر دانيال (٢٩)

ب السؤال من يحيى المعري (وهو حبر يهودى أندلسى كان يعيش في القرن السادس الهجرى ودخل في الإسلام) انه يحمل على عزرا حمة شديدة ويصفى انه هو عرير الذى ورد ذكره في القرآن الكريم قال « كان عزرا حيا حادما لملك الفرس حظيا لديه فتوصل الى ساء بيت المقدس وعمل لهم حدة التوراة التي بأيديهم فلما كان هاروب كرد ان يولى عليهم في الدولة الثانية داودى فاصاب في التوراة فصليين طاعينين في سب داود احدهما قصة سات لوط ، ولآخر قصة سامر (٤) ولقد بلغ ، لعمرى ، غرضه ، فان الدولة الثانية اشى كست لهم في ست المقدس لم يملك عليهم فيها داوديون ، بل كانت ملوكهم هاروسس وعزرا هذا ليس هو العزير كما يُظن ، لان لعرير هو تعريب العارار فاما عزرا فانه اذا عرب لم ينعب عن حاله لانه اسم حفيف الحركات والحروف ، ولان عزرا عندهم ليس سى ، واما سموه « عزر هوهر » ، وتفسيره السح « (٤١)

لكى يرجع انه لو كان « العزاز » هو « غزيرا »
 لسمه الفران الكرس « الغزير » (بالالف واللام) . كما فعل مع
 « البسج » (الذى أصله « انشع ») وقد فعل السموأل نفسه .
 رحمه الله ، ذلك ، فانه لم يكتبه الا بالالف واللام . ومثلا عن ذلك ،
 فإن حصع علماء الفيلسوف القدامى تغريبا قد قالوا انه عزرا . وعبد
 روايه أوردها ابن عساکر عن عبد الله بن سلام انه هو عزرا ناسح
 لنوراة . على ما جاء فى « اندانة والنهاية » لاس كثير كما مر
 سانه ثم ان يكون عزرا سينا او غير سى لا يفده فى المساله ولا
 يوجر (٤٢) . واحيرا انه اذا كان غزير هو « العزاز » ، فى العزاز
 ذلك ؟ ولماذا سمى اليهود لله سبحانه ؟ ان لسموال للاسف لم يحب عن
 هذين السوالين المهمين برغم تعرفه فى العربية والعبرية والفران لكرسه
 وكتب اليهود ولصارى وقد رجح ربوف انه سعدد ن يكون يهود
 المدينة لمين قالوا سموة غزير نله قد حوروا بطق اسمه من « عزرا »
 (وحى صيغة المصدر من مادة « غ ز ر » بمعنى اسم الفاعل)
 الى « غزير » (بالامالة) وحى صيغة اسم الفاعل من تلك المدة .
 ثم جاء الفران وعربها بصيغة الصغير العربية ، التى هى اقرب شىء
 الى صيغة اسم الفاعل العربية (٤٢)

أما الدكتور أحمد شلبي فإنه لا يقطع بأن عررا هذا هو عزيز
الورد في القرآن ، وإنما يكتفى بأن يقول : « يُنسب سفر عررا
إلى عزرا الكاهن ، ويسمى اسم عزيز الذي ورد ذكره في القرآن
الكريم » (٤٤) .

وفي ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم يقول د. صلاح الدين كثرمد
عن عزير هذا إنه هو عَزْرَا ، أحد الأنبياء العبرانيين الصغار الاثنى
عشر (في القرن الثامن قبل الميلاد) (٤٥) بيد أن من الصعب
هذا الاقتناع بأن « عزير » هو تعريب « عَزْرَا »

فأمامنا إذن في عزرا ثلاثة آراء على الأقل : أنه هو عزيز ،
وأنه ليس إياه ، وأنه يبدو أنه هو

الهُوَامَشْ

- ١- رسائل من جلف ٢٢ - ٢٠٤
٢- يوم ٣
٣- خبر من خراسان واصل من بلاد فارس في شهر ربيع الثاني ٤٦٠
٤- در دنا سرمدی و من اسدور و من من حاتم و سهراب و سهراب و سهراب و سهراب
مذكور في شهر من كتب لمفسر ذلك كتاب التبرول عند تناول هذه الآية
٥- وولد من شبه « رسائل بولس » ا في العهد الجديد في موضع
معددة منها
٦- نظر من ١٦ / ١٩ - ٢٠ ، و ١٨ / ١٨ ، و يوحنا / ٢٠ - ٢٣
٧- من حره / الفصل في الملل والأهواء والنحل ١ / ٢٤٥
٨- إبراهيم خليل احمد / إسرائيل والتلمود / ٦٥
٩- نظر من سر ضميمه الامم المقدسة قبل الاسلام ١٦٤
١٠- السابق ٤٩
١١- نظر ، رسائل المدح ٣ / ٢٤٦
١٢- نظر من حره / الفصل في الملل والأهواء والنحل ١ / ١٧٨ ، و نظر
منه كتابه سر مدني من الصلوة « في » رسائل من حره لاندسو تحقيق
د احمد عبدس ٣ ٦٧
١٣- نظر من سر / مدية والنهاية ٢ / ٤٦
١٤- فخر من السردي ما عرفت في سر مدني على الصلوة تحقيق
د عبد المجيد الحبي ٣٩ - ٤
١٥- مدية ٤٧

١٦- انظر محمد رشيد رضا / تفسير المنار / ١٠ / ٣٨٣ .

١٧- العلامة شبير احمد عثمانى / تفسير عثمانى (بالأوردية) ١ / ٢٥٣ -

٢٥٤ وقد ترجمه الى النص من الأوردية إلى الإنجليزية مشكوراً حديقى د عادل عثمانى رئيس تحرير مجلة « Pakistan Library Bulletin » ، والذي يعمل منذ سنوات مديراً لمكتبة كلية الشريعة (فرع جامعه « القرى » بالطائف

١٨- الموسوعة المذكورة / مادة « الصدوقية »

١٩- ثكويين / ٦ - ٢ ويذكر سفر « التثنية » (٢٢ / ١٩) ، لله بين ويات

ايضا :

٢٠- تثنية / ١٤ - ١

٢١- خروج / ٤ - ٢٢ - ٢٣ وفي سفر « التثنية » (٢٢ / ٧ مرتين ،

اشارة إلى هذا سورة

٢٢- يوب / ١ - ٦

٢٣- يوب / ٣٨ - ٧

٢٤- مزمور ٨٩ - ٢٦ - ٢٧ وقد رينا هلا ن انه نكر ، تعالى الله عن

ذلك ، هو اسرائيل وسرى عنه قبل انه افرج . وهو تافه من مضحل

٢٥- اشع . / ٩ - ٦ ووضح مدى التافه من تسببة المولود « ما »

وتسميته بعد قليل « ان ابي »

٢٦- اشع . / ٦٣ - ١٥ - ١٦

٢٧- إرميا / ٣١ - ٩ وقد مر في سفر « الخروج » قول الله ، على

رعيهم ، اسرائيل (لا افرج) هو اسم الكبر كما رينا في المزمور ٨٩ انه هو داود . وهو من تافهات معه عنه النبي لا تكاد نحصى

٢٨- هوشع / ١ / ١٠ .

٢٩- د أحمد شلبي / اليهودية / ٢٧١ - ٢٧٢ . وإبراهيم خليل أحمد /
إسرائيل والتلمود / ٦٧

٣٠- شامة / ١٨ ويخاطب النصارى الله في صلواتهم فائلي « أبانا الذي
في السماوات » كما تكرر في الأناجيل وصفه سبحانه بأنه أبوه

٣١- انجيل في الملل والأهواء والنحل / ١ / ٣٠٧ - ٣٠٨

٣٢- انظر افرمور ٤٥ / ٩ - ١١

٣٣- في الأصل « موشاة » بالكسر وهو خطأ . وفي لغة الكتاب
المقدس من أعضاء ورككات !

٣٤- نقطة « حبر » هذه من الرككات التي لا حصر لها في العهد القديم
وهي فوق حد حثاً . ذلك أنها ان كانت « اعمل تفصيل » كي تقبل محي « من »
وراءه ، فيجب ان تفسد حتى تكون مفسدة . اما إذ رفعت كما هي في لحن حسنة
تكون اسم لا منه . ولا يفسد حسنة ان تعتمد بها مقدرة . ومن ثم لا تأخذ حرف
الحبر « من »

٣٥- انظر « اليهودية » للفدكتور أحمد شلبي / ٢٦٣

٣٦- ان سورات : ترجمة محمد بدوان / ١٤ / ١٦ . وانظر كذلك د أحمد
سوسة / مفصل العرب واليهود في التاريخ / ٥٧٥ هـ / ٤٤

٣٧- من يضري ولجاحقه واس حرم والقرضي ولعقوبي ومن كسر ومن يفسد
والفرهي واشعوي . ورحمة الله الهدي ولانوسي ومحمد رشدي ومحمد انظر من
عاشور

٣٨- انظر د حابر طعنه / الاسفار المتدسة قبل الاسلام ٧٤ - ٧٥

٤- هامان

وبالنسبة لهامان يروى الحافظ انهم يعدون ما قاله القرآن عنه
علطا في الاحبار ودليلا على ان المسلمين يأخذون العلم عن غير
الثقات ، اد « هامان » الذي جاء ذكره في القرآن كان معاصرا
لفرعون ، على حين ان هامان في العهد القديم كان يعيش في زمن
الفرس ا في عهد الملك اخشوريش ا بعد فرعون بدهر طويل وذلك ،
كما يقولون ، « معروف عند اصحاب الكتب ، مشهور عند اهل
العلم » .

وقد جاء في القرآن ايضا ان فرعون ايضا اراد ان ينسى صرحا
لصعد فيه ويرى الله وهم يقولون ان فرعون ان كان كافرا بالله فب
معنى اتحاده صرحا ليرى شيئا لا يومن بوجوده ؟ وان كان مقرا
بوجوده سبحانه فاما ان يكون من المشبهة ، فكيف فاته ان من
المستحيل ان ، صرح ينفذ من السموات السبع حتى يصل الى العرش
الالهي ؟ واما ان يكون من بقاء التشبيه ، فكيف سحط على ماله
السخط عنه سبحانه في مكان بعيد ؟ وعلى ايه حال فلم يكن فرعون
محبوبا او باقضا لعقل حتى يفكر في هذا الامر أصلا (١)

ويرى القارىء ان اصل التهمة مضموم على ان الرسول عليه السلام

هو الذي ألف القرآن ، وأنه قد استفاد من الاحبار الملققة والروايات
 المضطربة التي لا يعرفها التاريخ . ونحن نقول انه إذا استفت نبوة محمد
 عليه الصلاة والسلام ، فلن تكون هناك نبوة اخرى حذرة بالتصديق ، فإن
 اخلاقه وصدقته وامانيته (برغم كل ما يرسه به الكافرون بذيته) هي
 افضل ذركي واقوم مما صفت له كتاب القوم المقدس أسياهم ، فقد
 سب الله هذا الكتاب الربا والفجور وشرب الخمر والكذب والقتل
 وعادة الاصنام والديثة ومصاحبه المعاصرين . ليعر ويسانجبل ان يدعوا
 شيئا من هذا عليه صلى الله عليه وسلم سحر ادعاء.

وقد أشارت إلى هذا الاختلاف بين هامان في العهد القديم وبين
 هامان في القرآن الكريم « دائرة المعارف الإسلامية » فقالت في
 طبعها الأولى تحت عنوان « هامان » : « ان وضع محمد لهامان في
 هذه الفترة (أي في عهد فرعون) ينصح اضطراب معرفته للتاريخ ،
 ذلك الاضطراب الذي يوجد في القرآن امثلة كثيرة عليه وفي
 الحقيقة فإن التلمود (Sanh 106) والمدراس (Exodus R 18)
 يحتويان على خطأ تاريخي مشابه ، إذ يجعلان بلعام وابوب وشرون
 جميعا اعصاء في مجلس شوري فرعون ، الذي كان من رأيه التخلص
 من موسى وهناك نص آخر في المدراس (Sanh R 22) يصف هامان

وقارون بانهما اعنى رحلين فى الدنيا « (٢) أما فى الطبعة الجديدة التى مارالت تصدر حتى الان فقد حفت حدة الهجوم على القرآن واحتُصرت المادة إلى حد كسر (٣) ولعل ذلك بداية التراجع عن انتقادهم للرسول الكريم عليه السلام والكتاب الذى انزل عليه فى هذه النقطة

كذلك اشار الى هذا الاحتلاف الفس توماس ماتريك هيور فى كتابه « Dictionary of Islam » ، اذ قال : « يظن بعض النقاد الاوربيين ان محمدا قد جعل من همار ، الذى كان وزيرا مقربا الى الملك آشوريرش وعدوا لليهود ، وزيرا لفرعون . ويقول الأحرار ان هذا الوزير هو قارون أو يثرون أو بلعام » (٤)

ومارال القوم يظنون انهم يتضعون التشيع بذلك على المسلمين وكتابهم ، فقد رددت هذه التهمة موجها رسالة بصرائية فى الهجوم على القرآن لكرمه تحمل اسم المجلس الملى النمطى بالاسكندرية (٥) .

وقد اصبح معروفا لكل سبته الكتاب المقدس لدى اليهود ولبنسارى ان هذا الكتاب غير احد ثلثه ، اذ يحتلط فيه الحابل بالسائل ، ويردحه بالاحط ، التريحه والرياسة والعلمية ، ويعج بالمتفصات حتى فى الصفحة الواحدة فى احدى كثيرة وقد ألف فى سائر ذلك ما لا يحصى من الكتب والرسائل باقلام مفكرهم وزجر

دبهم قبل غيرهم .

ولسوف اكتفى هنا بذكر بعض ما تنهت اليه من هذه الأخطاء والتدبصات في سفر « استير » . وهو السفر الذى جاء فيه ذكر هامان النارسى وزير الملك اخشويرش . وهذه الملاحظات هي ثمرة قراءة سريعة لهذا السفر .

وسوف أعنى عن ركافة الاسلوب في النصه . وبالذات الفقرة الاولى منها حيث تتعشکل الحمل في يد الكاتب وتتمرق حيوطها فيدور حول شبه يكرر ما سبق ن قاله كي يستقيم له العبارة بعض الاستقامة . وههنا ' ولا يعقل ان يكون مثل هذا الكلام الردى ، الاسلوب وحنا من عند الله ولا يعقل ايضا ن يبرل وحى سموى يبارب لنعارة والتوصل بها الى غرر القصور الملكية واقتصاص قلوب الاباطرة والتفنى في امالة لعانه وقودهم من اوفهم للموصون الى ما يراد منهم من الاعراض السياسية لا ، لسن يعقل ان توحى السماء لسى ' و حتى لستطاع ا مثل هذا الكلام !

ويتلخص سفر استير في ان اخشويرش ملك الفرس اراد من روحته ن تظهر معه في احد الاعباد كي يرى الناس انهتها وجمالها وريتها . لكن الملكة رفضت ذلك ، فما كان منه الا ان عصب عليها

وظلقها ، وشر مرسوماً فى طول البلاد وعرضها بهذا . ثم زنى له
بعض رجال حاشيته ان جمعوا كل من فى إمبراطوريته المترامية
الاطراف من عذارى فتيات لاحتار منهن من برقى له . وكان من
اولئك لفتيات استير اليهودية . التى بعد أن قصى معها الملك ليلة
داعرة استحدثت على قلبه قهرىها اليه وبرؤيتها . وكان هناك وزير لهذا
ملك اسمه حامان اصطفى على مردحاي اس عم أستير هذه دون أن
يعرف بالقرابة التى بينها وبينه . فإزاد أن يهلك كل اليهود الذين
بالبلاد . بيد ان مردحاي يتصل بأسير ويعلمها بالنصيحة التى ستحل
باليهود . ويدبر معها مؤامرة توقع بالوزير فى ما أراد أن يصعبه
بمردحاي . فيصلب هو وسود على نفس الخشبة التى كان قد اعدّها
لصلب ذلك اليهودى عليها . ويستنشر اليهود فى البلاد ويعمدون السيف
فى الرقاب ويقتلون عشرات الآلاف ويجعلون من اليوم الذى بشموا فيه
وارتو من الدم . عيداً لهم يحتفلون به فى كل عام . ويجعل الملك
مردحاي ريس لوزرائه واصفاً فى يده كل شئ .

واعتمل طاهر فى القصة اسد الضمور . ومن ذلك ان للمعدد
« سعة » سطره على سائر عاصره . فانك لا تفكر فى استدعاء
روحك لأمر فستبها ورويتها للناس الا فى اليوم (السابع) من بد .

لتحديدات توليه التحكم ، وعدد الحصان في قصر الاسراطور سعة ،
 وعدد مستارى الملك ا او ، كما يقول مؤلف القصة ، لحكام ،
 العارفين بالدراسة ا سعة ، وعدد الفتيات اللاتى اصطفر للملك
 اصطفا . من بين آلاف العذارى الحاصلات المجموعات من انحاء المملكة
 سبع ثم ان اسير قد دخلت على الملك فى السه السابعة من جلوسه
 على لعرض وولات الاسراطورية مائة و ا سبع ا وعشرون ولاية
 ويظهر التعلل ايضا فى ان الملك ، حين يريد من زوجته الظهور
 اما الحبيب ، لا يكلمها بنفسه فى ذلك بل لا يرتبه مستقيا كما
 تقضى به ساييد الملوك ، بل يست هذا انخاطر فى دماغه فجاء بعد ان
 لعبت لحرر عنده ، او بعبارة ملحق القصة : « لى ضاب قلب الملك
 بالحرر » ليس هذا فحسب ، بل انه لا يعد الا حصيان القصر
 ليرسلهم الى الملكة كى تحضر ، وكما امرأة من عرمى الطريق أو
 ساعه فى السوق ولا يحفل مؤلف القصة من القول بان الملك اما
 راد الانتباه بالملكه وعلى راسها تاج الملك « لبرى السعوب والرؤساء
 جمالهم ، لانها كانت حسيه المظر » وحده ليست عادة ملوك
 السرو ، وخاصة فى ذلك الزمن القديم وقد اثبت الملكة ان ساني ،
 وحق لب ولكن الملك ، على ما تقول القصة ، يستشط عصا

وتظل حاشية السوء، توسوس له وتنفخ في أنفه مهوله في غمسه صسع
الملكة وموحمة له أنه إذا لم تطلقها فسوف تكون مثلاً سيئاً معرى بسوء
الملكة بعضاً من أرواحهن والخروج على سلطانهم. وفعلاً يطلقنها الملك
وواضح ما يرمى إليه ملحق القصد أنه بمهد الطريق أمام نسيير
لثعلى العرش وتحكم أيدي قومها في رقاب العرس، الذين كان اليهود
يعيشون بين أظهرهم. بيد أن أصول الفن القصصى تقتضى التشويق
والتطويل والوصف المددع للشهوات، فقرأ أن بعض رجال الحاشية
اقترحوا على الأمسراطور أن تجمع له من أبحاء البلاد سواياتها المأمة
والسبع والعشرين كل عدداً، جميلة كى ينتحب شهر وحدة تحل محل
الملكة المطلقة وللقارى، أن يتصور كم يبلغ عدد هؤلاء الفتيات،
وكيف سيكون راحتهن عندما يتجمع كلهن في القصر قبل أن تُسحب
منهن سبع يدخلن على الملك واحدة بعد واحدة، في كل ليلة واحدة
يقضى معها العاجل الليل بطوله، وفي النهاية يفرز ايتهن التى تصلح
له

وبقول مؤلف القصة أن العصى المؤكل بهذا الأمر كان يسقى ستة
كاملة في تهمة الفتاة لقصا، ليلتها مع الملك - ستة شهر في تعطيرها
بريت المر، وستة أشهر للأطباء والأدباء وتغور أستر دور العتات

جميعًا بقلب الملك ويتخذها زوجة . وتكتم حقيقة يهوديتها عنه كما أوصاها مردخاي .

ويعلم مردخاي بمؤامرة كان يديرها اثنان من خصيان الملك لقتله . وتدو سذاجة القصة في قولها إنه علم بذلك وهو جالس على أبواب القصر ، وكان باب القصر مكان يتجمع عنده كل عاطل ليس عنده عمل يشغله . ثم متى كانت المؤامرات تدتر على باب القصور ؟ بل كيف يفكر خصيان لا حول لهما ولا قوة ولا أتعاع ولا عزوة في قلب نظام الحكم في إمبراطورية عريقة كإمبراطورية الفرس ؟

على أية حال فإن مردخاي يقوم بنقل السر إلى استير ، التي تخبر بدورها الملك فيقصص على الحشيش ويحقق معهما ويصلهما وتدور العداثة في حويلات الملكة

وكان هامان رئيس الوزراء ، عند دحوله على الملك أو خروجه من لدنه ، يسعد له حسب أوامر الإمبراطور الموظفون الدير ساب القصر . أما مردخاي فقد أصر على ألا يحشو أو يسعد ، رغم أنه مجرد أجنى غريب ، وفوق ذلك يهودي مستضعف ويمتلى ، هامان عصب ، ولكنه لا يفكر في الانتقام من مردخاي وحدد بل من يهود المملكة جميع ، ويعطيه الملك تفويضًا مطلقًا بعمل كل ما يريد بهم

ويعلم مردخاي بالأمر وكان المفروض أن يكون علمه به عن طريق الملكة ابنة عمه ، التي لابد أن يطلعها الملك على الأمر ليست زواجه ؟ البس لنذك بحدثون عادة أول ما يتحدثون إلى زوجاتهم ؟ لكن معرّفه مردخاي بهذا القرار لم يكن عن طريق أستير ، بل كان هو الذي أعلمها به . أم كيف توصل إلى إحارها بما علم فتقول القصة إنه لبس مسحا وذهب وهو يصرح ويسبح إلى باب القصر فرآه جوارى الملكة وحصياتها . الذين أسرعوا وحكوا لها ما شاهدوا وما سمعوا وتحفظت أستير ، بتحريض من ابن عمها ، لإحاطة مؤامرة هامان والإيقاع به في نفس الشرك الذي كان قد نصبه لمردخاي وقومه . ويتصاعد ، ويا للعب ، أن يصاب الملك في ذلك الوقت بآفة لا يجد ما يذود به عن نفسه إلا إحصار حوليات المملكة والقراءة فيها ويتصاعد أن يقرأ فيها قصة المؤامرة التي درها له الحصيان وكشف أمرها لمردخاي ويتذكر الملك عندئذ ، وعندئذ فقط ، أنه ينبغي مكافأة الرجل ويتصاعد أيضا عند ذلك ، ويا للعب ، دخول هامان على أحشوريرش الذي يبادره بالسؤال عما ينبغي فعله لرجل يسر لملك أن يكرمه ويظن هامان أن الملك يقصده فيشير عليه بأن يلبسه ملابس السلطانية ويحلج عليه تاحه ويركبه على فرس بطوب به ساحة

المدينة وأمامه الخدم ينادون ، فيأمره الملك عندئذ أن يسرع فيفعل هذا
مردحاي اليهودي وللعاري، أن يعجب من الأسلوب الذي اتبعه الملك
في احضار وزيره بما يريد وكأنه يلعب لعبة « حاوريسى يا قطيطة » .
فيلب ويدور قبل أن يصارحه في النهاية باسم الشخص المراد تكريمه
أنها هي هي حكمة الفصص الشعبي ، وبالذات كما نعرفه في « ألف
ليلة وليلة » ولا سر ان « ألف ليلة وليلة » هي في أصلها الأول
عمل فارسي هندي وقد كان احشويرش ، كما جاء في قصة أستير .
ملكًا على بلاد فارس والهند جميعا .

وفي وليمة كانت استير قد اعدتها لاحتشويرش وسعه هامان
يعرض للملك عليها ان تطلب أى شئ، تريد ، حتى لو كان ذلك نصف
المملكة ، كي يحققه لها في الحال ، فتحمده بالحق الذي يكرمه هامان
لشعبه ، فبهوم الملك معطاء ويخرج الى حديقة الفصص تارك زوجته مع
وزيره ، الذي اكب عيب يستعطفها على سريرها وساعتها يعود الملك
فيجدد على هذا الوضع فيظن انه يرادها عن نفسها . وواضح مدى
السذاجة في ترتب احداث القصة على هذا النحو الذي يسيء انولت به
الطروى لايقاع لكر بالوزير ويأمر الملك بصدد هامان وتمكن
مردحاي وشعبه من عدايتهم ، فقتلوا عشرات الآلاف من قبيح

الاطفال والنساء ، وفى مقدمتهم هامان وأسدود . ويستولون على أموالهم وممتلكاتهم . وفى نهاية تذكرنا سهايات القصص الشعبية حتى انه لم يبقَ إلا ان يقال : « وعاش اليهود فى سبات وسبات ، وحلفوا صبايا ونساء ! » .

فهذه هى الفصة التى يريد المعارضون على كتمان أن يحاكموه إليها . بها لا يمكن أن تكون وحيا ، فلس من العقول أن يكون موضوع النبوة مثل هذا القصص الحسى ولا أن يكون أسلوبه بالركاكة التى شرت إليها . وكذلك يمنع من الاطمئنان إليها كتاريخ ما فيها من تعمل راند ومصداقات متكررة ومجافاة لمسطق العقل والأحداث . إن روح الحوديت وحكمتها القسوة واصعاجها فيها اشد الوصوح

ويشكك د أحمد شلبي فى هذه القصة ، مؤكدا انها ليست من التاريخ فى شىء . « اما هى اسطورة يرسم بها مولتها الطريق للنساء الاسراييليات ان يتحدن من جمالهن وسيلة لخدمة سى اسراييل وخدمة عراضهن » (٦) ويعزز هذا الرأى ما لوحظ من أن عرا وبعبا (وهما من اساء العهد القديم ، ولكل سهم به سفر قص فيه أحداث السى السالى) لم يثيرا الى استير ولا الى شىء مما جاء فى السفر المسمى باسمها . كما ان هيرودوت ، مورخ الاعريق الذى عاصر

الإمبراطور الفارسي أخشويرش وكتب سيرة حياته وحكمه ، كما يذكر شيئا مما ذكرناه هذه القصة (٧) ويذهب بعض الباحثين الى أن القصة يمكن أن تكون في الأصل اسطورة بابلية اخذها اليهود وحرفوها لتوائم أعراضهم ، إذ أن هامان هو اسم أحد الآلهة العيلاميين ، كما أن مردحاي هو اسم اله كلداني أما اسم أستير فليس بعيدا أن يكون تعريفاً للآلهة عشتار (٨) التي يُنطق اسمها ابصا « شتار » و « أستير » و « عشتروت » ولعل هامان الوزير المصري لذي كان يساعد فرعون في اصطهاد بني إسرائيل قد احتلظ شخصية ذلك الإله العيلامي القديم وحرجت من هذا المريح تلك القصة التي يفصها علينا كاتب سفر أستير .

ولعل من المفيد أن نشرح للقارئ ، كيف يوصي حمار اليهود شعبهم بالاحتشام بعيد التوراة ، وهي المناسبة التي تقول هذه القصة إن الله قد بعث في بين اليهود وازرع باعدائهم على يد ستر ومردحاي « يقول رب رب RAB RAB أن على الإنسان أن يشرب في ذلك اليوم حتى لا يستطيع السير بين دولهم ملعون هامان ، ومردحاي ومردحاي » ٩١ وهي طريقة في الاحتمال تناسب مقامها في لفصه من حسن وحسن ، وما امرت سياسة تحكيها لدى العديد من خواص

ومى الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى بعد ساءة أحرىات
 يقمر نفس هذا الدور الذى قامت به أستير . مثل يهوديت ، الأرملة
 الحملة التى لها سفر باسمها كسر أستير فى نسخة « لعهد القديم »
 الكاثوليكية ، وسالومى ، التى رقصت عارية أو شبه عارية لعنفها
 الوالى تحريض من أمها الفاجرة حتى سال لعنه وفقد عقله وهو يراها
 بكل شأنها وفستها تتلوى أمام عيسىه فقدم لها رأس يحيى عليه
 السلام على طبق حسما ارادت كى يحلو العو لها ولأمها للفحور مع
 ذئ العه البدل ، كما جاء فى العهد الجديد

عنى أنا نحب ان نطر أيضا فيما حله العهد القديم من
 حداث الفترة لتى سكن فيها سو اسرائيل مصر سد أن حاجر إليها
 يعقوب عليه السلام وأولاده إلى أن حرح موسى وقومه منها ذلك أن
 حامن قد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى أحر حقة من حلقات سكى
 لاسرايليين فى مصر ، وهو ما ينكره المعترضون على كتابا المحيد
 نسخة انه لم يحيى ، له ذكر فى سفر « الخروج » فى العهد لقديم ،
 فريد أن نطر فيما رواه كتاب القوم عن بسى اسرائيل فى بلاد لقراعة
 لرى مفذر ما فيه من استفامة او انحراف ويعرف إلى أى مدى يمكن
 الركور الى ما بقول واتحاده مستندا تاريخيا بقول عليه .

وقد قرأت قصة سى إسرائيل فى مصر كما جاءت فى العهد القديم قراءة سريعة وخرجت منها بعض الأشياء التى يجب عرضها على القارىء كى يكون على بينة من أسر كتابهم المقدس الذى يريدون أن يحاكموا القرآن الهـ . وقبل أن أعرض ملاحظاتي أسوق ما وحدد علامة الاندلس اس حرم العظيم فى العهد القديم من خطأ فاحش وقع عند حساب المدة التى قصاها سو إسرائيل فى مصر القديمة . وذلك أنهم يقولون ن قاهات بن لاوى بن يعقوب دخل مصر مع ابيه وجده وعمرد ١٢٣ سنة . وان عمران بن قاهات عاش ١٢٧ سنة . ون موسى بن عمران خرج مع سى إسرائيل من مصر وهو ابن ثمانين سنة (١٠) . فلو افترضنا ن قاهات دخل مصر فى اول حياته . وأن كلا من عمران وموسى وُلد بعد وفاة أبيه لكان مجموع السنين التى قصاها سو إسرائيل فى مصر من لدن دخول يعقوب الى خروج موسى ٣٥٠ سنة . على حين يقول العهد القديم ان مجموعها ٤٣٠ سنة (١١) . بفارق ٨٠ سنة بين الحساستـ . وحتى لو اصف السوات التى قصاها يوسف بمصر قبل محيى . قومه . وهى ٢٢ سنة (١٢) لظل هناك فرق ٥٨ سنة . وهذا بطبيعة الحال لو صادف ان كان دخول قاهات مصر فى سدا حياته . ووُلد كل من موسى وعمرن كما افترض اس حرم

بعد موت أبيه . وهي مسامحة شديدة من ابن حزم ، إذ يصعب جدا جدا ان يتحقق ذلك (بل هو لم يتحقق فعلا) في الواقع ، وإلا فالفرق بين الحساين أكبر من ذلك كثيرا . والقوم هم هم الذين ذكروا الحساين ، لا أحد آخر . ويقول ابن حزم تعقبا على هذا التناقض : « ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكدبة وحدها لكففت في أنها موضوعة مدللة من حمار في جهله أو مستخف سحر بهم ولاية » (١٣) .

وقد وجدت تناقضا في تعداد بني يعقوب الذين أتوا معه إلى مصر . ذُقل أنهم ٦٦ نفسا ، وفي السفر التالي لذلك مباشرة بهم ٧٠ (١٤) وهذا تناقض فاحش ، ويزيد فحشا أنه في سفر متنايليس والعقيفة ان العدد الصحيح . كما لاحظ ابن حزم ، لا هو هذا ولا ذاك . إنما هو ٦٧ (١٥) . ويمكن التدرى، التحقق من ذلك نفسه لو قرأ الآيات ٨ - ٢٦ من الأصحاح السادس والأربعين من سفر « التكوين »

كذلك يرسن فري، العهد القديم حسما يحد ان الارض التي سكها يعقوب واولاده في مصر هي أرض حسن مرة (١٦) ، وأرض رعسميس مرة أخرى (١٧)

وفى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر « التكوين » تناقص آخر ، إذ جاء فى الآية ٢٨ أن يعقوب حين دعا بنيه إليه قبيل موته باركهم واحداً واحداً ، بينما كان كلامه لشمعون ولاوى فى نفس الأصحاح (آيات ٥ - ٧) على هذا النحو « شمعون ولاوى أخوان لآت ظلمة سيوفهما فى مجلسهما لا تدخل نفسى بمحبتهم لا تتحد كرامتى لانيهما فى غضبيهما قتلآ اساب وفى رضاكما عرف ثورا ملعون غضبيهما فانه شديد . وسخطيهم فانه قاس اتسمهما فى يعقوب وافرقيهما فى اسراييل » وهذا لعن لا مباركة وقيل ذلك وجه الحديث الى راويين ، الذى روى بحدى سرارى أبيه (١٨) ، قبل « . فافرا كالما ، لا تتفصل لابل صعدت على مصجع أيبك حينئذ دنسته على فراشى صعد » ولا اظن هذا من المباركة فى شئ ، أما قوله عن راويين نفسه فى أول حديثه اليه « راويين ، أنت بكرى وقوتى وأول قدرتى فصل الرفعة وبصل العر » فهو كلام لا يمكن أن يحرج من فيه نسي كرمه ان صح ما ينقله العهد القديم عن اعتداء ابنه على عرصه ذلك الاعتداء . لشبع اما هو بكلام الديوثين اشبه ، وإلا فكيف يفسر يعقوب هذا الافتحار بذلك الابن الفاجر المعتدى على عرصه ؟

وإذا قرأنا قصة ولادة موسى وما فعلته أمه بعد أن لم تستطع
 الاستمرار في إرضاعه عن عيون رجال فرعون الموكلين بقتل الرضيع من
 بني إسرائيل بعد أن كانت القصة يقول إن أم موسى أهدت سقطا من
 الردى وطلته بالحمر والزفت وأرقدت الطفل فيه ، ثم وصغته بين
 الحلأ ، على حافة النهر ، حيث التقطته أمة فرعون (١٩) ووصح ن
 تابوت لم يلق في الماء ، وإنما لتسائل فلم أدن طلته الأم بالحمر
 والزفت ، وهما المادتان اللتان تطلّى بهما القوارب وما أشبه لمح دخول
 الماء فيها حتى لا تعرق ؟ إن هذا ، لو صح أن السقط لم يُدق في
 الماء ، فهو تصرف يفترق إلى المطلق والحكمة فإذا مضى في القراءة
 فوجدنا بأن أمة فرعون تسميه « موسى » وتقول « انى اتشكته
 من الماء » (٢٠) وهكذا يتبين لنا ، مما يقوله كاتب السفر نفسه ،
 أن السقط كان قد ألقى في النهر لا على الحف ، لئلا يسهل على شفه
 ومعنى هذا أن القصة تتوافق مع نفسها أما القرآن فقد قال قولا
 واحدا أن الله سبحانه قد ألهم أم الرضيع أن ترضيه في تابوت وتندف
 بالتبوت في الماء (٢١)

ومثل هذا التناقض يجدد في اسم حنى موسى فهو مرة
 يعوس (٢٢) ، ومرة مشور (٢٣) ، وذلك في عدة أسطر قليلة لا

غير ، ومرة ثالثة جواب من راعونيل (٢٤) ، وهذه الثالثة اطم
وأدعى ، لانه بهذه الطريقة قد اصبح اس نفسه .

وتس الشى بجدد فى الاسم الذى سمى به رب العرة نفسه
لموسى كى يحبر به سى اسرائيل ، وذلك حين سأل موسى قائلاً
« فادا قالوا لى ما اسمه ، فمادا أقول لهم . فقال الله لموسى أخيه
الذى أهيه وقال : هكذا تقول لبى اسرائيل . أخيه أرسلنى
إليكم » وفى الآية التالية مباشرة يكرر الله كلامه لموسى قائلاً
« هكذا تقول لى اسرائيل : يهوه اله آبائكم إله ابراهيم وإله إسحق
واله يعقوب أرسلنى إليكم وحدا اسمى إلى الابد » (٢٥) فهل هو
أهيه ام يهوه ؟ ليس ذلك مريباً ؟ ثم أهدا هو الكتاب الذى يجعله
القوم اساساً يقيسون به صحة ما جاء فى القرآن او خطاه . وبخاصة
فى مسألة الأسماء ؟

وعند إخبار الله تعالى عبده موسى انه قد احتارده سبياً يجعله
كاتب سفر « الخروج » يعترض على هذا الاختيار الالهى ويكنه ربه
على نحو غير لائق أنته ، اذ يقول : « اسمع أيها السيد لست أنا
صاحب كلام من اس ولا من حين كلمت عبدك بل انا ثقيل لفهم
واللسان » وحين يطمئنه ربه إلى أنه سمعت معه هارون لكلمه فرعون

بالبياة عنه معصى موسى فى الاعتراض الخشن قانلاً : « استمع أيها السيد أُرسل بيد من ترسل » ويعترى كاتب القصة على الله قانلاً « فحصى عصب الرب على موسى » (٢٦) إن القصة بهذه لطريقة تصور موسى فى خطاه لربه وكأنه بدوى حلف يكلم بدويا حلما مثله . ثم كيف يخفى عصب الله على من احتارده بنفسه سببا لحمل رسالته ؟ وليس شئ ، من ذلك فى القرآن الكريم ، فصورة موسى ، مثل سائر الانبياء ، فى الصورة التى تليق برسول الله أدب مع ربه وإحسان له ومعرفة بقدره وحلاله .

وعلى حلاف القرآن الكريم ، الذى يجعل من هارون سببا مع موسى ووريرا وعصدا له (٢٧) ، يجعله كاتب سفر « الخروج » سببا لموسى ، ويجعل موسى ألها له (٢٨) ، وكذلك إلها لفرعون (٢٩) فما حد الاضطراب ؟ وما هذا السحب ؟ بل ما هذا الكفر ؟

وفى سفر « الخروج » أيضا يأمر الله سبحانه موسى أن يدخل هو وشيوخ سبب اسرائيل الى فرعون ويطلبوا منه ان يطلق سراح قومهم (٣٠) ولكن بعد صفحتين اثنتين فحسب بسبب مؤلف لسفر ذلك ويقول سببا لله الذى دخل على فرعون وطلب منه هدا هو موسى وهارون ، لا موسى وشيوخ سبب اسرائيل (٣١)

ويشبه هذا أن الله ، عند لقائه موسى ، يأمره أن يصنع آيتي العصا واليد بنفسه ، وعند التنفيذ نجد أن هارون هو الذي يفعل هذا لا موسى (٣٢) ، وساء على امر الله أيضا (٣٣) .

كذلك نجد نفس الاضطراب عند الكلام عن معجزة تحويل الماء إلى دم ، إذ يهدد موسى فرعون انه سيصرب بالمعصا التي في يده على الماء لدى في النهر فيتحول دما ويموت السمك الذي فيه ويستن النهر ، ثم يأمر الله عقيب ذلك موسى ان يجعل هارون هو الذي يصنع هذا (٣٤)

وكما ان الله قد طلب من موسى ان يأخذ من ماء النهر ويسكب على اليابسة فيصير الماء الذي يأخذه من النهر دما على اليابسة (٣٥) ، ولكن عند التنفيذ نجد أن هارون ايضا هو الذي يقوم بذلك ، لكن ليس على هذا النحو ، إذ صرب هارون الماء الذي في النهر فتحول كله دم الح وهذا ايضا تناقض

وجاء في الاصحاح السابع من هذا السفر أيضا ان هارون أكرم من موسى ثلاثة أعوام (٣٦) ، زعمه ان الاصحاح الثاسي يقول عن ولادة موسى : « وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي ، فحملت المرة وولدت ابنت لما رآته أنه حسن خناته ثلاثة أشهر ولما

يمكنها أن تخزنه بعد أخذت سبطاً من البردى وطلته بالحُر والزوت ووضعت الولد فيه ووضعت بين الحلقاء على حافة النهر . ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به « (٣٧) ، وهو ما يُعهم منه أن موسى هو بكر أبيه ، أي أنه كان أكبر من هارون . وحتى لا يقول أحد : « لعل هارون لم يكن شقيق موسى » أبادر فأذكر أن ابناً واحداً (وهو عزام) ، وأمهما واحدة (واسمها ، كما جاء في العهد القديم ، يوكابد) (٣٨) .

وفي التسيعة التي ترم بها موسى وشعبه بعد غرق فرعون وجوده في اليم نسمه يصعون عرق أعدائهم قانليس : « هبطوا في الأعماق كحجر » ، و « عاصوا كالرصاص في مياه عامرة » (٣٩) ، وهو ما تكرر أيضاً على لسان اللاويين في سفر « حمتي » ، إذ قالوا في حاجاتهم لربه : « ورأيت دل آبائنا في مصر وسمعت صرحهم وفلقت اليم أمامهم وعسروا في وسط البحر على الياسة وطرحت مطارديهم في الأعماق كحجر في مياه قوية » (٤٠) ، وذلك رعباً أن فرعون وجوده لم يفتحوا الماء حتى يقال لهم عاصوا فيه كحجر ، بل الماء هو الذي عطاهم كما جاء في العهد القديم نفسه (٤١) أما القرآن الكريم فلا يقول إلا أنه قد « عشيهم من اليم ما

عشيه « (٤٢) ، وهو ما يتسق مع الطريقة التي عرق بها أعداء
سرى اسرائيل كما وصفها كل من الكتابس

ويقول سفر « الخروج » (٢٣ / ٢٠) « قال الرب
لموسى (لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الانسان لا يراى ويعيش »
(وان قيل عقب ذلك إن من الممكن ان ينظر موسى وراء الله بعد أن
يعتار ، وكان لله خلفا وقداما ، وطهرا ووجها بالمعنى الحرفى للظهر
والوجه !) (٤٣) وسى كاتب السفر أنه قال فى موضع آخر إن الله
كان يكلم موسى « وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » (٤٤) ،

وهو ما أكد سفر « العدد » ، اد جا ، فيه (١٢ - ٧ - ٨) .
« وما عدى موسى فلس هكذا بل هو امين فى كل بيتى فمنا إلى
فم وغيانا أتكله معه لا بالالعار » ، وقاله موسى نفسه حسما جاء
فى سفر « التثنية » (٥ - ٤) « وجها لوجه تكلم الرب معنا
فى العمل من وسط النار » ليس ذلك فحسب ، بل رأى الله مع
موسى خارون وبادات وأيهو وسعمون من شيوخ سى اسرائيل « رأوا
اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صعدة من العقيق الازرق الشفاف وكدات
لسم ، فى النقوذة فرأوا الله وأكلوا وشربو » (٤٥) اما الفران
لكرمه فانه يؤكد انه لا موسى ولا سوا اسرائيل قد راوا لله ، فقد

أصاته كما أصابته الصاعقة ١٤٦ وهذا هو الدلائل بجلال الألوهية
وعظمتها اللانهائية

ومن شائع لكتاب المقدس عند اليهود ولصاري قوله ان هارون
عليه السلام هو الذى صنع العجل ابنى عمده سو اسرائيل ابناء عابر
موسى اربعين ليلة حين ذهب منقذ ربه ، وابنه بنى مذبحا لعبادة ذلك
العجل احد الاسريليون يرقصون معه غرابا وقد بنت سوراتهم وتعرت
أستاحهم . وراى كاتب القصة نسب إلى هارون الكذب ، إذ ادعى
لموسى انه لم يفعل اكثر من ان طرح الذهب الذى جمعه من بنى
إسرائيل فى النار فخرج العجل . مع ان القصة تقول إنه هو لدى
صنعه وبنه بالارسليل بحثا (٤٧) ولكن القرائ يقرر ان الذى صنع
العجل اما هو السامري ، وان هارون قد رفض ذلك رفضا قاطعا
ووقف فى وجه قومه ولكنهم لم يسمعوا له وكادوا ان يقتلوه (٤٨)
وهذا الذى يفعله القرائ هو ما يغلبه العقل ويهش له الصمير ، اذ لا
يمكن ان يقدم بنى على صنع صة وعبادته ، والا كانت لسوة عث
فى عث ان هارون بدلت الذى سمع اليه مؤلف سفر « الحروح »
بهتان وكذا يكون اول من حائف الوصايا التى تلفاها موسى على
العجل لسمعها قومه « لا يكن لك الهة اخرى اساسى لا تصع لك

تمثالا مسحونا ولا صورة مما في السماء، من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض . لا يسعد لهم ولا تعددهم لاسي اما لرب الهك عيور » (٤٩) ، « لا تصنعوا معي آلهة قصة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب » (٥٠) .

على ان صطراب النصة لا يفت عدد جدا لحد ، فهي تقول ان موسى عدله لسلام قد امر بني لاوي (الذين هو واحد منهم) ان يفتنوا جميع دونهم واصدقاتهم واحل بلدهم ممن اقترفوا خطيئة عبادة العجل ، وان محصله الفتل في ذلك اليوم كانت ثلاثة آلاف رجل (٥١) . وسؤال ابو الاعلى المودودي بحق : « لم لم يقتل هارون اذا كان هو صاحب عبادة العجل ؟ » لم لم يطب بو لاوي من موسى ان يقتل أخاه هارون ، الذي كان هو الاله الحقيقي ، بالصط كما طلب منهم أن يقتلوا اخوتهم ؟ » ، ان الكتاب المقدس ، كما لاحظ المودودي ايضا ، يذكر ان موسى بعد هذه الواقعة رجع إلى ربه داعيا إياه ان يعفر لقومه خطيئته او يمحود من كتابه ، فاجبه الله قائلا : « ان من احط الى اسخود من كتابي » ، ومع ذلك لم يمح اسم هارون ، بل على العكس حلع الله عليه هو واولاده وسائر دريته مسؤولية الكهانة والقمام على المذبح (٥٢) . ومخلص المودودي من ذلك

إلى أن الكتاب المقدس يناقض نفسه نفسه ، وأن الحقيقة هي ما قاله
القرن الكريم من أن هارون يرى، تماما من صبح العجل ومن
عبادته (٥٣)

وسدو عريسا شد العراة ان بقول الله عن نفسه حسما جا، في
أكثر من موصع بالعهد الجديد « أفنقد دوت الآب، في الآننا، في
العيل الثالث والرابع من موصي » (٥٤) والاعرب من ذلك ان
يذكر الى جانب هـ قوله سبحانه عن نفسه ايضا : « عاقر لاثم
والمعصية والخطية » (٥٥) ان هذا لا يتسق مع ذاك أبداً ونحن
اسلمين بومس أنه سبحانه عفوز رحيم ، وانه ان عاقب فسيعاقب
لمحطى، فقط ولا يحمل ورده واردة اخرى ولو كانت ذات قرى فهكذا
قل القرآن الكريم ، وهو الذي يوافق العقل والكرم الالهى

وفي سفر « العدد » بقرا ان هارون ومريم قد تكلم على
أحيهما موسى « بسب المرأة الكوشية التي اتحدتا فقالا حل كلم الرب
موسى وحده ألم بكلمنا نحن ايضا » ، وأن الله قد عصب عليهما
ثم نادى عقيب ذلك ان مريم قد عوقبت وحدها ، وكان عقاب
اصابها بالبرص (٥٦) السن عريسا ان يحرج اثنان نفس السببة
فسيعاقب واحد فقط ؟ وعرب من ذلك أن الله لا يعاقب هارون على

صنع العجل ، وهو كهر بواح ، ويعاقب صريم على ما لا يمكن أن
قياسه بذاك ، إذ هو إن صح لا يعدو عيرة بين الإخوة وأن الكهر
من لعيرة التي تكون بين بعض الإخوة والاحواب ؟

ونسب كتب سفر « الخروج » الدم إلى الله سبحانه ويجعل
دمه بناءً على أمر موسى له : « لماذا يا رب يحمي عصاك على
شعبك الذي حرخته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة أرجع
عن حملو عصاك ودم على الشر تعك فدم الرب على الشر الذي
قد الله يفعل به شعبه » (٥٧) . وكما الله قد عصا على بني
إسرائيل لعادتهم العجل ومع هذا فني سفر « العدد » يقول بلعم
عنه عر وحل ، « اصع لى يا بن صفور ليس الله إسان فكذب
ولا ابن إسان فيدم » (٥٨) وهذا ، وإن كان هو لدى يلبق بعظته
سبحانه ، يتناقض اما تناقض مع نص السابق .

وبعد ، فهذه فقط بعض الأخطاء والسحافات والتناقضات
والإحالات التي وقع فيها الكتاب المقدس في القصص التي يريد
المؤمنون به أن يحاكموا اليها القرآن الكريم . وما من مرة وضعنا ما
جاء في القرآن الكريم نأر ، ما قنه ذلك الكتاب لا وثالت كفته
ورجعت كفة القرآن

«دن» ، فلا معنى للاحتجاج بان اسم هامان قد ورد في العهد القديم بصفته وزيراً لأحشويرش الفارسي ، لا وزيراً لفرعون كما جاء في القرآن الكريم . ومع هذا فمفهوم بعض الطرف عن كل ما مر كانه «يكرر» ، ويستترى ان هامان كان فعلاً وزيراً للإمبراطور الفارسي ، فهل يسمع هذا انه كان هناك هامان آخر قبل ذلك في مصر ؟ أم ترى هذا امراً مستحسناً ؟ ولكن ما وجه الاستحالة في ذلك ؟ لقد ورد هذا الاسم في اوراق النردى المصرية (٥٩) كما كانت العلاقات بين مصر وارس قاسية على قدم وساق في الزمن القديم مثلها في لعصر الحديث ، فأي عراة في ان يوجد اسم «هامان» هنا وهناك ؟ هذا ان كان الاسم واحداً ولا يكرر لكل منهما اشتقاق مختلف ، مثل «بوسى» ، الذى كانت تسمى به أم البشر في أساطير نصير القديمة ، و «بوسى» الذى تسمى به كثير من الفتيات المصريات الآن .

ويعتقد محمد عزة دروزة أن اسم «هامان» الفارسي هو تحوير لاسم «امون» لمن كان يتسمى به أو سبب ليه ملوك مصر ووزراؤه ، مشيراً إلى ان مصر في ذلك الوقت كانت حاصلة لسطرة الفرس (٦٠) ولربوب ابو سعدة رأى حد قريب من هذا ، إذ يقول :

الناطق الصحيح لاسم « أمون » هو « اسان » ، وان « هامان »
 (الذى يرجح ان يكون لقبا لكسر الكهنة فى مصر على عهد فرعون
 موسى لا اسفا لاحد الوزراء) هو لفظ مركب من اسم خدا الاله
 مسوق بكلمة « حا » ، التى تعنى « المدخل » ، فيكون معنى
 اللقب هو « السائد الى امون » (٦١) ، أى المتصل به ولوسيط بينه
 وبين من يعبدونه . وقد كان هامان اسما كذلك لاحد الآلهة العيلامية
 كما مر بيانه . وبالمسبة د « أمون » خدا هو أيضا اسم ملك
 أورشليم ، اس الملك مسى . ووالد الملك يوشيا ، الذى ينزل إل حلقيا
 الكاهن قد وجد نسخة من شريعة موسى فى عهده (٦٢) فما قور
 المكربين فى خدا ؟ اتراهم يكررون ذلك الملك اليهودى ايضا لهذا
 لاسم ؟ ومن شعرا ، العرب المعاصرين من تسمى باسم « ادوبس »
 وهو اسم احد الآلهة السورية القديمة ؟

ومن المصريين فى عصرنا من اسمه « حرم » على اسم احد
 ملوك صور القديمة . وكان فى حاشية الملك عبد العزيز آل سعود من
 اسمه « (رشاد) فرعون » . وقد كان اسم « الباصرى » لقبا للسيد
 المسيح عليه السلام ، حتى حكمة جمال عبد الناصر مصر فاصح كل
 واحد من اساع حظه لىسمى يسمى د « الباصرى » . كما ان لقب

« المسح » قد أطلقه اشعيا من قبل على قورش ملك الفرس ، وكذلك لقب به حرقياں ملك صور . وهناك كاتب مسرحى مصرى شهير اسمه « ليس » تمجيدا ، فمما نظر ، لفائد الثورة الروسية . وأذكر ان أحد الفلاحين مصريين قد وُلد له طفل أمام العلاقات الوثيقة لتي كانت من عند الناصر وحروثوف فسماه باسم هذا الاخير . ولا ننس ان روحة جورباتسوف اسمها « ريسة » (تعريفا لكلمة « رنسة » العربية فيما قرانا) . وابن امرأة روسية من مثل ذلك الاسم العرسى ؟ وما لنا نعطى بعيدا وقد كن من النصارى في عصر الحافظ من يتسمون بأسماء المسيحيين بل بأسماء آل البيت كالبحس والحيس والعاس والفصل وعلى ويكتون بها ، حتى ان الحافظ قد سحر من ذلك قنلاَ إنه « لا يبق الا ان يتسموا بمحمد ويكتنوا باسمي القاسم » ؟ (٦٣) وقد اشر المثيرى ايضا الى ظاهرة اشتراكهم مع المسلمين في لأسماء والكسى (٦٤) أما الان فليهم يكرهون ان يتسموا بذلك كراهية العمى .

وما اكثر الاسماء التى يُطلق كل منها على اكثر من مد ، مثل « Cairo » (القاهرة) بالانجليزية (الذى تُسمى به عدة مدن في مختلف احواء لعالم ، و « باريس » ، الذى يطلق على العاصمة

العربية وعلى قرية معمورة في إحدى الواحات المصرية على ما ذكر
د احمد أمين في كتابه « حياتي » ، و « مراعاة » ، وهو اسم بلدة
بكل من صعيد مصر وبلاد فارس ، و « طرابلس » ، الذي يُطلق على
« طرابلس الشام » و « طرابلس العرب » جمعا ، و « حدوان » في
كل من مصر والعراق ولو رجع القاري، إلى « معجم البلدان »
لياقوت الحموي مثلا فسوف يجد كثيرا من هذه الأسماء ، التي
قد يطلق بعضها على ثلاثة مواضع وربما أكثر ومن ذلك « آمد »
و « ابوان » و « أنهر » و « الاثلة » و « برعوث » و « برقة »
و « الحمايرية » و « السند » و « العس » و « الكرش » . . . الح
الح وقد كان اسم « نابل » يطلق أيضا على روم واسمراطوريتهما
قبل الامرطور قسطنطين أيام أن كانت تدين بوثنية (٦٥) وقد
شار إليها بذلك الاسم القديس بطرس في نهاية رسالته الأولى كما
تكرر ذكر يوحنا اللاهوتي لاسم « نابل » في روم غير مقصود به
نابل المعروفة (٦٦) ولعلها اورشليم ونابل ، حسبما يدعى مؤلف
سفر « التكوين » ، هي المدينة التي اراد السفر بعد لطوقان بناءها ،
لكن لرب حقد عليهم وعلى تجمعهم في مكان واحد وتكلمهم لعه
واحدة ففددهم في ارجاء المعمورة ولبلل الستهم (٦٧) فما القول في

هذا ؟ وفي كل من مصر والهند نجد كلية باسم « دار العلوم » كما أن في كل من بريطانيا وأمريكا جامعة باسم كمردج .

وما القول أيضا في أن بعض المصريين يتسمين بأسماء دول ، مثل فرنسا وأندلس وسورية ، وأن « فارس » من أسماء أعلام الذكور المشهورة بين العرب ، وهو في نفس الوقت اسم « إيران » قديما ؟ وهناك ساء عريبات يعقن الحصر اسمهن « هند » على اسم شبه القارة الهندية وكذلك توحد منتجة سيمائية مصرية اسمها « آسيا » ، وهو اسم القارة المعروفة .

ويتعدى أبو الأعلى المودودي الدين يحطون القرآن لذكره هامان مع فرعون أن يقدموا قاصمة باسماء ووزراء فرعون تحلو من اسمه « حامل » ، وإلا فليس يحق لهم أن يعترضوا عليه (٦٨)

وقد راينا أن الحاحامات اليهود يجعلون وزير فرعون هذا واحدا من ثلاثة : قورح أو يشرون أو بلعام (٦٩) فأما « قورح » فقد جاء ذكره في سفر « العدد » في العهد القديم على أنه واحد من تلك المجموعة من بني اسرائيل التي بشرت على موسى ونجدته وحسب الله بهم وبدورهم وممتلكاتهم الارض (٧) وهو الذي جاء ذكره في القرآن في سورة « القصص » باسم « قارون » (٧١) . فإين قورح هذا من

الوراثة لفرعون ؟ وام « يشرون » فقد رأينا أنه اسم حمى موسى ،
 وكان كاهناً في مديان ويسمى « بلعام » ، وهو اسم الرجل الذي
 توسل إليه ملك مواب ، على ما يقول كاتب سفر « العدد » ، لكي
 يدعى له سى إسرائيل حين اشرف منهم موسى على بلاده بعد الخروج من
 مصر بسنوات ، فلم يرض أن يلعنهم بل باركهم (٧٢) فما علاقة
 رجل مثل هذا بفرعون والوراثة ؟ كما رأيت أن التلمود والمدارس
 يجعلان بلعام ويوب ويترون أعضاء في مجلس شورى فرعون (٧٣)
 فاما بلعام ويشرون فقد عرفنا انهما لم يكن لهما علاقة بفرعون ولا
 بمصر حسب كلاء العهد القديم نفسه واشد من ذلك إغراق في الخط
 القول بن ايوب ، الذي ذكره العهد القديم نفسه بعد ذلك بأزمان
 طوال ، كان عضواً في مجلس الشورى الفرعوني أى أن علماء اليهود
 وامثالهم ممن يقسمهم أولئك المعترضون الذين ذكرهم الحافظ حجة على
 القرآن قد وقعوا في مثل ما اتهم به هؤلاء ، القوم الكتاب المعيد بل في
 أشد منه فلماذا السطع ادن والرعوثة ؟

وقد رأينا كيف أن المدارس يقرن بين هامان وقارون (٧٤) ، مما
 يوحي بأنهما كان متعاصرين وهذا يقترب بنا مما جاء في القرآن
 أشد الاقتراب .

وأخيراً نقول لهؤلاء المعارضين إن العهد القديم ، الدين تحاكمون القرآن إليه ، قد تناقض ، فيما ترعمون ، بأن العذراء ستلد لله ابناً (هو المسيح كما قيل) وتدعو « عمانوئيل » (٧٥) فهل سُمي المسيح يوماً من قبل أي إنسان بهذا الاسم ؟ إنه لم يحدث قط أن دعت أمه أو غير أمه إلا « يسوع » (« عيسى » في العربية) بل إن كاتب « إصحاح متى » يكذب ما جاء في « اشعيا » عن تسميته عليه السلام « عمانوئيل » . إذ يقول ما نصه عن مريم وحملها بعيسى : « فتلد لنا وتدعو اسمه يسوع » (٧٦) بل إن حبريل عليه السلام نفسه ، حسبما جاء في لوقا (١ / ٣١) ، بشرها بولادة عيسى قائلاً : « وحدت ستحلب وتلدن لنا وتسميه يسوع » والطريف أن متى يعود بفعل عقب ما كتب عنه ابنه « هذا كله لكي يتبين ما قيل من الرب بالذي القابل هو ذا العذراء ، تحمل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي يسيره الله معنا » . غير وأجد أي تناقض بين ما قاله أولاً وما قاله لاحقاً ، مما يدل على أن الدين وضعوا هذه الكتب لم يكونوا يتمتعون بالحسن الفكري ويعود فتأكد أنه مع ذلك لم يحدث في هذا الإصحاح ولا في أي من الأناجيل الأخرى التي يقدمها

المصري أن سادت مريم أو أحمد غيرها عيسى عليه السلام في وقت
« عمادويل » فهل صاروا المعترضون يصرون على تحطنتهم للفرار
الكريم ؟

فهذا عن اسم « حامن » أما اسعاد المعترضين أن يكون
فرعون قد فكر في ساء صرح للاطلاع إلى أنه موسى كما جاء في
القرآن (٧٧) وقولهم أنه أن كان حاندا بوجود الله فما معنى ساء
صرح سادام الله غير موجود في اعتقده ؟ ولقد أنه لجهله كان يظن
أن بعد السماء عن الأرض لا يرى عن ارتفاع صرح من الصروح . وأنه
بإستطاعته السهولة على عدم وجود الله بصعوده في ذلك بصرح
والتحفل بنفسه من ذلك وقد سمعنا في عصرنا هذا ، وهو عصر
التقدم العلمي الحمار ، ما قاله حجازي أول رائد قصص روسي عند
ذهوبه من رحلته في سقيفة القصص ، من أنه لم يجد الله في السماء .
يريد أن يقول أن الإلحاد ، الذي كان عقيدة بلاد في ذلك الوقت ، هو
الدرس الصحيح فلماذا يستعرب من فرعون ، في تلك الأرمسة المتقدمة
من التزيح حيث لم يكن العلم قد قطع شيئا من هذه الخطوات لحجارة
التي أبحر في عصره . أن يفكر على هذا النحو ؟ ويرى عند الله
يوسف على أن فرعون إنما كان يقصد السحره بموسى والذين الذي

يدعو إليه (٧٨) .

هذا إن كان فرعون حادثا ، أما إن كان مؤمنا مشتبها فإن قول
المعتصم إنه كان ولا شك يعلم أن ليس في طاقة سي آدم أن يسوا
سحاب يحرق السماوات لسح والاحراء التي بينها حتى يحادى عرش
الله هو قول عجيب ، إذ من أين لفرعون أن يعرف أن ثمة سبع
سماوات ون العرش فوقها ؟ إن حاحارين في عصرنا لم يكن يعرف شيئا
من ذلك ، ولا لما قال قولته التي ذكرنا قبل قليل . وليس في العهد
القديم ولا الحديد ما يدل على أن السماوات سبع . إما ذلك في لقرآن
الكريم ، وهو لم يكن قد برل من السماء على عهد فرعون بطبيعة
الحد . ودا كان العهد القديم ، الذي يستند إليه أولئك المعتصمون ،
قد تكرر اظهاره لله غير الأرض تحت مصر هذا الشعب أو تدن
الجماعة ، فما وجه الغرابة في أن يظن فرعون ، لو كان مؤمنا ناب
للتشبه ، أن باستطاعته رؤية الله اذا صعد الصرح واشرف على
السماء ؟

إن موسى نفسه غلبه السلام قد سال ربه ، حسنا ح ، في
العهد القديم ، قائلا « ربي محدك » ، فأجابه الله تعالى : « لا
تقدر أن ترى وجهي ، لأن الانسان لا يراني ويعيش » (٧٩) وقد

جاء في القرآن الكريم عن موسى قوله يا جبرئيل « ربّ ، أرسى
 أنظر إليك » ، فيآتيه الرد الالهي : « لن تراني ، ولكن انظر الى
 الحل فإن استقر مكانه فسوف تراني . فلما تحلّى ربه للحل جعله
 ذكّ وحر موسى صعب فلما افانق قال : سبحانك ! تَبَيَّنْتُ إِلَيْكَ ، وأنا
 اول المؤمنين » (٨٠) ثم الا ينزل الصاري ان الله قد تحسد في
 هيئة بشرية وبرل من عباده واصبح يحل في هذا المكان او ذاك ونحلو
 منه سائر الامكنة بل وياكل ويشرب ويتعوط وينزل ويسام ويتعب
 ويحاف ويسب ؟ وقد طلب المتركون من السى على سبيل التحدى ان
 يردوا ربه فقالوا : « لولا ازل علي الملائكة او يرى رب » (٨١)
 فهل سيكدب أولئك المعترضون بهذا كله ؟ اليس هذا في أقل القليل
 يشبه ما جاء في القرآن من قول فرعون انه يريد ان يُسنى له صرح
 لعله يطلع الأسباب فيطلع الى اله موسى ، وان كان اتهمه عليه السلام
 مع ذلك بالكذب ؟

اما قول المعترضين ان فرعون ان كان كافرا فبانه لم يكن محسوب
 حتى يقول ما قال عن الصرح والاضلاع الى الله ، فانه يدل على عدم
 الفهم الصحيح للطبيعة البشرية ، وبخاصة نفسية الطغاة الحمايرين
 كثيراً من هؤلاء ، قد ادعوا لانفسهم الاكوهه ، ومن لم يدع منهم ذلك

كان يتصرف كأنه لا يخطئ، ولا يصح أن يعترض عليه معترض
وكثيرا ما أورد هذا الصنف من الحكام بلاده وشعوبه موارد الهلاك
والدمار فدخلوا في حروب لم يستعدوا لها فهُزِموا خِزَام مروعَة وفُقدوا
أسمهم وأدلوها أدلالا لا يحظر على نال وعصرنا الحدث شاهد على
عدد الناس به من هولاء الحلادين فإين كانت عقول هؤلاء، حسنا
اتو هذه الأفعال المحسوسة ؟ وقد قرأنا كيف أن بعض الصباط الدس
يتولون تعذيب المساحين المتديين في بلد مسلم كانوا يقولون لهم انه
قد حسوا الله في البرائة المحاورَة ! يريدون ان يُفهموهم أن أحدا لا
يستطيع ان يسددهم من يديهم وليس امامهم إلا اليأس والاستسلام
المطلق فهل من العريب بعد ذلك ان يقول فرعون ما قال وهو الذي
كان يزعم أنه اله ؟

الهوامش

١- «اطر» وسائل الحافظ « ٣ / ٢٠٤ - ٢٠٥ »

٢- [] Early's First Encyclopedia of Islam, Vol. III, p. 245

٣- Encyclopedia of Islam, New Edition, Vol. III, p. 110

4- Thomas Patrick Lane's Dictionary of Islam, p. 160

٥- مصر د - عبد الحفيظ مكي - رد مشرب - بنى لاسد - ١٥٨

٦- د احمد شلبي / اليهودية / ٢٤٤

٧- عبد الحفيظ شلبي / رد مشربات على الاسلام - ١٥٩

٨- السابق / ١٥٩ - ١٦٠

٩- د. دبرست قصة احمد د - ترجمة محمد د. د. ٢٨ وفد سر

تقدم « موردني » اسي وردت في اسطر ٤٥ « اى » موردني « اى » موجودة في
ترجمة العهد القديم ،

١٠- تكمين / ٤٦ / ٨ - ١٩ ، و ٢٩ / ١ وما بعدها ، وحروج / ١ / ١ -

١ ، و ٦ / ١٤ - ٢٠ ، و ٧ / ٧

١١- خروج / ١٢ / ٤٠ - ٤٢

١٢- داود يوسف اخوته وقبور ١٧ سنة رحل من مدين ساعة بدوره لاحد

مصريين ا تكمين / ٣٧ / ٢ ، وجعله في مصر على حزن لارض وعمره ٣٠ سنة

ا تكمين / ٤٦ / ٤٠ وعرف اى دد سبع سنوات لحيات ، وسن من سبع

سنوات بحدت ا تكمين / ١١ / ٢٧ ، و ٤٥ / ١١

١٣- ابن حزم / الفصل في النمل والاهواء وشمل / ١ / ٢٥٢ - ٢٥٣

١٤- تكمين / ٤٦ / ٢٦ - ٢٧ كت كثر في موضع آخر ا خروج / ١ /

١ - ا a

١٥- انظر ابن حزم / الفصل / ٦ / ٢٤٢ .

١٦- تكميبي / ٤٦ / ٢٤ . و ٤٧ / ٦ . و خروج ٨ / ٢٢ . ويذكر ابن حزم .

باء على الترجمة التي كان سفل منها . انها هوجس (الفصل / ١ / ٢٥٦ ، ٢٥٢)

١٧- تكميبي / ٤٧ / ١١ . و خروج ١٢ / ٣٧

١٨- تكميبي / ٢٥ / ٢٢

١٩- خروج ٢ / ٢ - ٤

٢٠- خروج ٢ / ١٠

٢١- طه / ٣٨ - ٣٩ . والمقصود ٧

٢٢- خروج ٢ / ١٨

٢٣- خروج ٣ / ١ . وانظر كذلك نفس السفر ٤ / ١٨ . و ١٨ / ١ .

٢٤ . ٢٥ . ٢٦ . ٢٧ . ٢٨ . ٢٩ .

٢٤- عدد / ١٠ / ٢٩ . و ص ١١ / ٢

٢٥- خروج ٣ / ١٣ - ١٥

٢٦- خروج ٤ / ١٠ - ١١

٢٧- الأعداد / ٨٤ - ٨٩ . ومريم / ٥٣ . وطه / ٢٩ - ٣٢ . ولنعص /

٣٤

٢٨- خروج ٤ / ١٦

٢٩- خروج ٧ / ١

٣٠- خروج ٣ / ١٨

٣١- خروج ٥ / ١ . وانظر اعداد نفس السفر ٦ / ٢٦ - ٢٧

٣٢- خروج ٤ / ٢٠

٢٣- خروج / ٧ / ٩

٢٤- خروج / ٧ / ١٤ - ١٩

٢٥- خروج / ٤ / ٩

٢٦- خروج / ٧

٢٧- خروج / ١ - ٤

٢٨- خروج / ٦ / ٢ ، وعدد / ٢٦ / ٥٩

٢٩- خروج / ١٥ / ٣ - ١

٣٠- بحسب / ٩ / ٩ - ١

٣١- خروج / ١٥ / ٣ - ١٠

٣٢- طه / ٧٨

٣٣- يسعرون ديوريت من ذلك قائلا إن آله اليهود « حتى لا يسمح للناس

أن يروا منه إلا صهرو » (قصة البقرة / ترجمة محمد ندران / ٢ / ٢٤٠)

٣٤- خروج / ٢٣ / ١٩

٣٥- خروج / ٢٤ / ٩ - ١١

٣٦- البقرة / ٥٥ ، والأعراف / ١٤٢

٣٧- خروج / ٢٢ / ١ - ٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٤

٣٨- طه / ٨٣ - ٩٧ ، والأعراف / ١٤٨ - ١٥٢

٣٩- خروج / ٢٠ / ٢ - ٣ ، وتشية / ٥ / ٧ - ٩

٤٠- خروج / ٢٠ - ٢٢

٤١- خروج / ٢٢ / ٢٧ - ٢٩

٤٢- خروج / ٢٢ / ٢١ - ٢٢ ، وعدد / ١٨ / ١ - ٧

53- S. A. A. Maududi The Meaning of the Qur'an , translated by

٥١- خروج / ٢٠ / ٥ و ٢٤ / ٧ . وثنية / ٥ / ١٠ .

٥٥- خروج / ٢٤ / ٧

٥٦- عدد / ١٧ / ١ - ١٠

٥٧- خروج / ٢٢ / ١٦ - ١٤ . ويعلق ول ديورانت على إساءة العهد القديم

« الله » إلى الله تعالى قائلا « كذلك لا يرى (الله) أنه مفعوم من الخطأ . ويرى
 في أشنع ما وقع منه من الأخطاء هو خلق الإنسان . ولذلك مراد يندم بعد هوان العرصة
 على خلق آدم وعلى ارتفاعه أن يكون شاول ملكا » ١ هذه الحفارة / ترجمة محمد
 بدر / ٢ / ٢٤٠

٥٨- عدد / ٢٣ / ١٨ - ١٩

٥٩- انظر د عبدالحليل شلبي / رد مفسرات على الاسلام / ١٥٨

٦٠- انظر محمد عزة دروزة / تاريخ سري اسرائيل من سفره / ٢٨١ . ويلحق
 محمد حميد الله في ترجمته العربية للقرآن الكريم إلى مثل هذا الرأي إذ يقول إن
 اسم « هامل » يدكر . « آمون » (Muhammad Hamidullah : Le Saint
 Coran , 1977 , p. 512) .

٦١- انظر روبرت ابو سعفة / من أبحار القرآن - عند الاعمد في القرآن

مفسر القرآن / ٢ / ٥٨ - ٦٠

٦٢- أبحار الأيام الثاني / الأصحاحان ٢٢ - ٢١

٦٣- رسائل المحقق / ٢ / ٢١٧

٦٤- انظر محمد رطلو سلا / الأدب في عصر ملوكي / ١ - ١٨٦ -

١٨٧

٦٥- انظر صابر مغبية / اليهود بين يدي وأيدي / ٢٤٦

٧٦- متى / ١ / ٢٩

٧٧- القصص / ٣٨ ، وغافر / ٢٢ .

78 - A. Yusuf Ali , The Holy Quran , pp. 1013 , 1273 .

٧٩- خروج / ٢٢ / ١٨ - ٢٠

٨٠- الأعراف / ١٤٣ كما ذكر القرآن الكريم ان بنى إسرائيل قالوا لبيهم

« أربا الله حهرة » فأحدثهم الصاعقة (البقرة / ٥٥ ، والنساء / ١٥٣)

٨١- الفرقان / ٢١

٥- يحيى

كما شنع الصارى على ما أحمر به القرآن الكريم من أن الله سبحانه قال للركب عند نشيده مولادة يحيى : « يا ركبيا ، انا بشر بعلم اسمي يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا » (١) ، مؤكدين أنه كان هناك قبله أكثر من واحد اسمه « يحيى » ، مثل يوحنا بن قارح (٢) . وقد جاء في ترجمة لوديغ أولمان الألمانية للقرآن ، تعليقا على هذه الآية ، أنه كان قبل يحيى شخص عدة يحملون اسم « يوحنا » (٣) .

وهذا التشييع يقوم على أن كلمة « سمي » تعني بالضرورة « من كان له نفس الاسم » إذ هم قد فهموا من الآية أن أحدا قبل العلامة الذي وهبه الله للركب لم يُسم باسم « يحيى » والحق أن هذا ليس إلا أحد معاني الكلمة على ما ورد في معاجم اللغة وكتب التفسير (والمعاني الأخرى هي : « المفاخر » و « الطير » و « السامي ») ويمكن أن نريد التحقق مما يقول أن يرجع إلى القواميس اللغوية وإمامه عدة منها وضعها مؤلفون صارى يستطيع أن يطر فيها مثل « محيط المحيط » للسامى ، و « المنجد »

لليسوعيين ، و « الرائد » لجران مسعود .

وقد فسر المفسرون « سمعا » فى الآية الكريمة بما يفيد أن يحيى عليه السلام لا يساميه أو يشبهه أحد ، أو أن احداً قتله لم يسم باسمه . فمن الممكن جدا إذن أن يكون المعنى هو أنه لم يحيى، قبل يحيى أى نظير له . وقد جاء فى « متى » على لسان عيسى عليه السلام . « الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » (٤) وهو تقريبا نفس ما كتبه لوقا فى إنجيله على لسان عيسى أيضا : « لانى أقول لكم إنه من المولودين من النساء ليس من أعظم من يوحنا المعمدان » (٥) فان ارادوا أن يشكروا على القرآن قوله عن يحيى عليه السلام : « لم نجعل له من قبل سميا » فيشكروا ذلك أيضا على إباحيلهم . وأسى لهم ذلك ؟ على أن القرآن يحلو من تناقص إباحيل متى ، الذى بعد أن قال إنه لم يحيى، قبل يحيى عليه السلام من هو أفضل منه عاد فاصاب العساة الآتة . « وبكر لأصغر من ملكوت السموات أفضل منه » . وهو ما دفع ابن حزم إلى التعليق قائلا « تأملوا هذا الفصل ترو مصنفه الدهر فيهم وقرة عيون الأعداء وقولا لا يمكن أن نقوله ولا سطق به صى برحى فلاحه ولا أنه وكما، إلا أن يكون مدحوله لعقل اثبت أنه لم

بولد فى الأدمس اثرف من يحيى . وإذا كان كما زعم أن الصغير
 فى مذكوت لسماء . أكر من يحيى . فكل مؤمن يدخل مذكوت
 السماء ، ضرورة فهو افضل من يحيى . فوجب من هذا أن كل مؤمن
 من سى آدم فهو افضل من يحيى ، وإن يحيى اردل واصغر من كل
 مؤمن . فما هذا الهوى ؟ وما هذا الكذب ؟ وما هذه لعبارة السمعة
 فى الدين ؟ وكه هذا التناقض ؟ والله ما قبل المسيح قط شبه من
 هذه الرعونة ، وما قالها إلا الكذاب متى وطراره ، عليهم للعنه
 فلقد كانوا فى غاية الوقاحة والاستحفاف بالدين « (٦)

ومع هذا فقد ورد فى الانجيل المسبوق الى لوقا (١٠) واث
 أليصابات (روحه ركزها) فتم رماها لئلا فولدت ابنا وسمع حراث
 وقرباؤها ان الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها . وفى اليوم التالى
 جاءوا ليحتموا الصبي وسموه باسم ابيه ركزها . فحدثت منه وقايت لا
 بل يسمى يوحنا . فقالوا لها ليس أحد فى عشيرتك تسمى بهذا
 الاسم . ثم أومأوا إلى ابيه ماذا يريد أن يسمى . فطلب لوجا وكتب
 قائلا اسمه يوحنا فتعجب الجميع « (٧)

ويمكن ايضا ان تفسر الآية القرائنه بهذا المعنى ولكن قد يقال
 إن القرآن قد اطلق القول حين أحرر ان احدا قبل يحيى لم يسم

باسمه ، على حين ان خوف قد حصر ذلك في عشرة لصلواته . الا
 أن من العائز جدا أن يكون ذلك هو قصد القراء . فقد جاءت
 هذه الشري اثر اتيال ركوب لربه قديلا « رب ، اني وهى لعصم
 مسمى واشتعل الرأس شيا ، ولم أكن سمعت رب نف راسي حقت
 الموالي من وزاني ، وكنت امرأسي عاقرا ، فهب من لدك وليا »
 يرشى ويرث من آل يعقوب ، واحفظه رب رصا « (٨) وواضح أن
 الكلام يدور حول عشرة ركرا ، وهى نفسها عشرة روحته ، فمن
 الممكن ان يكون لمعى « لم يجعل له من قبل ايين عشيرتك »
 سميا « وهذا ان صح أن احدا قبل يحى خارج عشيرته قد سمي
 باسمه (٩) لقد اثر المعترضون الذين ورد الحافظ كلامهم إلى به
 كان يوجد قلبه عليه السلام من اسمه يحيى ، ثم مثبوتا « يوحنا من
 قارح » .

ولك على ذلك عدة ملاحظات ، أولا ان القرآن قد قال انه لم يكن
 هناك قلبه عليه السلام من اسمه « يحيى » ، ام اولئك لمعترضون
 فقد ذكروا « يوحنا بن قارح » . فهل قصد القراء « يوحنا » أو
 « يحيى » ؟ اذا وقفنا عند ظاهر النص على الاقل بالقرآن قد قال
 « يحيى » ولم يقل « يوحنا » . و « يحيى » مشتق من الحياة أو

العبء ، أما « يوحنا » فيقولون انه يعنى فى العبرية « كان
يهود كرمب » (١) ، وهذا غير داك ثابتا . الشخص لى
ذكره المعترضون لم يكن اسمه « يوحنا (بن قارح) » بل
« يوحنا بن » (١١) قد يقال ان « يوحنا » هو اختصار
لـ « يوحنا بن » (١٢) لكما ، ان تعاصيا عن الفرق بين
« يحيى » و « يوحنا » وقبلنا ان القرآن قد قصد « يوحنا » ،
ستطعن ن برد بان المقصود هو ان احدا قبله عليه السلام لم يتسم بهذا
الصيغة الاختصاصية لا بالصيغة الكاملة . وذلك كما نقول ان احدا قبل
هذا اقبل لم يتسم بـ « مثل » ، فلا يجوز ان يعرض معترض بان
كثيرين من قبله قد تسوا بـ « سبل » ، لانه وان كانت « سبل »
هى صيغة التبدل لـ « سبل » فانها مع ذلك ليست ياد ولكن قد
يقال ان اسم « يوحنا » بهذا الصيغة الاختصاصية قد ورد فى
سلسلة نسب المسيح حسبما اوردها لوقا (٣ - ٢٣ - ٣٨) ، لا
أنا ينسعى أن يكون على ذكر من أن المسيح ، فى هذه السلسلة وكذلك
فى السلسلة التى اوردها متى (١ - ١٧ - ١) ، هو ابن يوسف
لبحر (١٣) وهذا كذب صراح ، ولا يفله لا الصارى ولا المسمون
ولا اليهود . فاما المسلمون فلاتهم يومنون انه عليه السلام قد وُلد دون

أب ، وأب الصاري (اقصد جمهورهم ، وهم المثلثون) فهم يرغمون
 به ابن الله ، سنما يقول اليهود إن مريم قد حملت به سفاحا من احد
 جنود الرومان على ما هو معروف (١٤) كذلك فان يوحنا هذا لم يرد
 له ذكر في السلسلة التي ساقها متى وفصلا عن ذلك فان في أحد
 الأناجيل التي ترفضها الكنيسة أن مريم لم تكن محظونة ليوسف النجار
 ولا لغيره ، وانما كانت معنكة في المعبد لعبادة الله (١٥) ، مما
 يتفق مع ما جاء في القرائن من ان اسمها حين حملت بهت قالت
 « رب ، اسي بدرت لك ما في بطني محررا فتعمل صبي ، انك انت
 السميع العليم » ، وان مريم بعد ان شئت كانت تلام المهراب حيث
 كان ركوب كلما دخل عليها وحده لذيها رزقا من عند الله (١٦) ،
 ومن ثم فلا معنى للربط بين المسيح عليه السلام ويوسف النجار
 على اى وجه من الوجوه اى أن السلسلة المذكورة في « متى »
 و « لوقا » لا تنعت اذا على الاطمئنان ، فكيف شق إدرا بانه كان
 من آباء يوسف النجار من اسمه يوحنا ، وبخاصة أن يوحنا هذا (كما
 أوضحنا قبل قليل) لا وجود له في سلسلة متى ؟

ثالثا : أنه حتى لو ثبت فعلا أنه قتل يحيى عليه السلام كان
 هناك من اسمه يوحنا ، فيمكن القول إن المراد أن أحدا من الانبياء

السابقين عليه لم يتسم باسمه (١٧) . على أساس أن يحيى لم يكن
شخصا عاديا ، بل كان نبيا .

وراء : من الممكن جدا أن يكون المقصود أن أحدا قبله عليه
السلام ممن كان اسمه « يوحنا » (أو حتى « يوحانان ») لم يتحور
اسمه إلى « يحيى » ، اما كان يحيى عليه السلام هو أول من حدث
لأسمه ذلك .

وهذا كله على أساس أن « يوحنا » الذى سُمى به ذلك
النبي الكريم هو « يوحنا » الذى يتسمى به غيره . بيد ان احد
الساحشيين العارفين بالعمرية والمطالعين على ترحمات الكتاب المقدس
بهذه اللغة وغيرها يقرر أن يحيى عليه السلام لم يكن اسمه
« يوحنا » (بل « يوحى ») بالامالة) ، وأن هذا
الاحير مكون من كلمتين : « يو » (أى الله) و « حى »
(بمعنى « أخضر ») ، ومعناه : « الله أخضر » ، وهو ما أشار
إليه القرآن الكريم حين وصف السى بحى بانه كان « حُصُورا » .
والمقصود بذلك أنه كان يكف نفسه عن شهوة النساء مع وجود القدرة
وهو من ثم يرى ان « يحيى » مشتق من العياء (أى انه كان
يستحي من التطلع إلى النساء) كما يؤكد أن كنية الأناجيل عندما

اشتو « يوحنا » بالالف اما كانوا يعهدون ، ولكنهم «خطاوا» في
اجتهادهم (١٨)

ومن هذا كله يرى انه لا معنى لاعتراض المصارى على الآية
وتكون الآية قد صيغت بهذه الطريقة القدة لتعنى الامرين جميعا ، ان
يحبى لم يكن له من قبل مطير ، وانه لم يتسم احد باسمه (ان
باطلاق ، واما من عشيرته ، واما من أمثاله من الانبياء ، واما أن
حدا من السابقين عليه من كان اسمهم « يوحنا » لم يتحور اسمه
في العربية إلى « يحيى ») .

وينعى الا يفتننا ان هذه الآية قد قرئت ، ضمن صدر سورة
« مريم » ، على النحاشي ومطارقه عندما سأل ملك الحشّة ، رحمه
الله ، الصحابة الذين فروا إلى بلاد من اصطهاد قريش عما يقوله
القرآن في حق عيسى عليه السلام ، ولم تكن الآية محل دهشة او
استعراب من ايهم (١٩) ، ودفع من ملايين المصارى الذين سلموا
بعد ذلك ولا يزالون .

الهوامش

١- مريم ٧

٢- انظر " رسائل المحافظ " ٣ / ٢٠٥ والملاحظ انه لا يوجد للمحافظ رد

على هذا الاعتراض في الرسالة التي بين أيدينا

٣- Ludwig Ullman Der Koran - Das heilige Buch des Islam . ٢٤٥ , n. 4

٤- مري ١١ / ١١

٥- يوف ٧ / ٢٨

٦- من حبره فصل في المثل والأهواء والنحل ٢ / ١١

٧- يوف ١ / ٥٧ - ٦٣

٨- مريم ٢ - ٦

٩- يرى صلاح المحمدي في الاشارة في إنجيل لوقا الى ان احدا في عشيرة
يعقوب لم يسم من قبل اسمه " يحيى " انما هي مفعولة من القرآن الكريم ومحتمة
بها في ترد في لاجل اخرى انظر كتابه " جوهر الايمان في صحيح الابرار -
اهل الكتاب " ٢ / ٢٩ ، ٤٩ . لكنه لم يبين لنا كيف حدث هذا النقل ولا متى
تم . ثم ان هذا سبب المعصية الوحيدة التي يفرد بإيرادها حد الأنجيل دون غيره
كدليل فقد تكبر هذه الاشارة موهومة في واحد او اكثر من الانجيل نسي حداثتها
الكبيرة ودمرتها ، وحقها

10- Basil Cottle The Penguin Dictionary of Surnames art John ,
and Abdullah Yusuf Ali The Holy Quran 768 n 2461

١١- ورد في ترجمه المرحل في لابه الاول ١٢ / ١٢ والمثل لثاني /

١٥ ٢٣ ورد ٢٠ / ٨ و ٢١ / ١١ و ٢٢ / ٦ واسمه ، كما ورد عند

الحافظ . هو يوحنا بن مرقس . وواضح أنها تصحيف

[3 The Oxford English Dictionary art John

١٣ في تعليق محققى كتاب « الفصل » على قول ابن حزم « متى الكذاب
يسب المسيح إلى يوسف النجار » (٢ / ٢٢ ، مراحمة يتولان « راجع انجيل متى /
الاصحاح الاول . وفيه « ثم ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم
مخطوبة ليوسف قبل ان يحكما وحدث حبلى من روح القدس . فيوسف رحبها . و كان
داراً ولم يشأ ان يشهرها . راد تعليها سرا . ولكن لما هو مفكر في هذه الامور . و
ملاب اسرب قد ظهر به في حلم فاثلا . يا يوسف من داود . لا تحف . تأخذ
مريم مرتك . لان لندي حمل به فيها هو من الروح القدس . » (انقرب من
١٨ - ٢٤) وهذا بخلاف ما قرره ابن حزم (يقصدان قوله ان متى قد نسب المسيح
عليه لسلام إلى يوسف النجار) . فلعل الانجيل قد نعر من التعبير وتبدل آخر .
(الفصل ٢ / ٢٢ / هـ ١٠٩) وانحصر انه لا خلاف بين ما قاله ابن حزم وبين ما
جاء في متى . اندي . و قد في اول انجيله سلسلة نسب المسيح . وفيها انه غيبه لسلام
ابن يوسف (انظر سلسلة نسب المذكورة في اول « متى » ١) . وفيه وردت من حزم
وعلق عليها في نسخة ٢ / ٢٧ - ٢٩ . ٣٣ . ان قول متى عقب ذلك . مريم قد
حملت به من الروح القدس . فهو تكذيب لسلسلة نسب النجار إليها . و في متى
يافق نفسه ويكذب نفسه نفسه . وفي اسطر محدودات . ولكن هذه مسألة حرة
ويأخذ نفسه . فقد جاء به الروح القدس في أسرة الاوى في نصي حضور عن متى
هكذا « روح القدس » وهو هو . واد انه هناك « الروح القدس » « روح
القدس » بدون « ال » فهو اسمه عند المسلمين

١٤ انصر و دوبريت . قصة النحر رة / ترجمه محمد بدرن ١١ ٢١٤

وابن كبر / البداية وانهية / ٢ / ٦٨ . ٧٠ . ٧٣

- ١٥- الإنجيل المشار إليه هو إنجيل متى غير المعتمد عند النصارى ، وهو غير
 إنجيل متى المقبول عندهم والموجود في العهد الجديد . انظر د علي عبدالرحمن وافي /
 الأسفار المقدسة في الأديان السابعة للإسلام / ١٤ - ١٥
- ١٦- آل عمران / ٣٥ - ٣٦
- ١٧- وقد أشار إلى هذا المرحوم عبد الله يوسف علي أيضا في ترجمته للقرآن إلى
 الإنجليزية (ص ٧٦٨ / هـ ١٤٦٦)
- ١٨- انظر رؤوف ابو سعدة / من إعمار القرآن - العلم الأعدي هي القرآن
 عصفرا بالقرآن / ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٨
- ١٩- انظر سيرة ابن هشام / ١ / ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧

٦- فتوة النساء

وذكر الحافظ أيضا أن مما اعترضت به النصارى على القرآن قولهم : الله يحطب السي قاتلا ١٠ « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ، فسألوا اهل الذكر ان كتبه لا تعلمون » (١) ، بما يقيد ن الانبياء ، لا يكونون نساء ، على حين أن اهل الذكر (نى حل الكتاب) ، الذين امر الله العرب أن يسألوهم فى هذه مسأله ، يقولون ان الله قد بعث من النساء نبيات ، مثل مريم بنت عمران وحنه وسارة ورققة (٢)

ولواقع ن معنى الكلام فى الآية هو انه لم يحدث أن أرسل الله ناسا رسولا الا وكان شرا مثلهم ، بعد يحدث أن أرسل منك ذلك ن الكفار كانوا يبعثون ويتطهرون بالدهشة من أن الله قد بعث اليهم محمدا وهو سر ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق (٣) ، وكما يقولون « حل هذا الا نتر مثلكم ٤ » (٤) ، كما طلبوا منه مرار ان يرسل عليه او معه ملك (٥) وقد كانت تلك هى معلات كفار لامه اساقفه لنى يتعللون بها ضد الانبياء المرسلين اليهم ، كما هو واضح من الآيات لفراسه المعدادة ٦ . لكن اعرض كهد قرنتى من على انه سبحانه قد أرسل حقا من رسله مرار ، وما كان

اعتراضهم على شرية الرسول ، فكان رد القرآن في الآية التي استشهد بها المعارضون من المصاري هو ان الرسل الذين ارسلو قبلك يا رسول الله كانوا مثلك رجالا ، اي بحري عليهم ما يحري على الشر ، فهم ياكلون ويموتون (٧)

ومع ذلك فقد يحيب هؤلاء المعارضون من المصاري وامثالهم بالقرآن ان يستطيع ان يقول مثلا « وما ارسلنا قبلك الا بشرا نوحى اليهم » بدلا من كلمة « رجال » ، التي تدل على ان الرسل كانوا دائما شر ذكورا لا بشرا فقط لكي فات هؤلاء ، ن « الرجال » بسوا بالضرورة هم الذكور من الناس فقط بل يشملون النساء ايضا ذلك ان لمرأة تسمى « رحلة » ا مونت « رجل » ا اي انه مثلث يقول « امرو » ، « امراة » يقول « رجل » و « رحلة » (٨) ، فكلمة « الرجال » اذن هي معناه « لشر » وجه على اساس ان فيه قد رسل فعلا رسلا من النساء ، وهو ما سوف ساقته معه قليل

نفس في وصف القرآن للرسل اذن فانهم « رجال » هي بوحده حبه بما الساعه في ان يوصف الله سبحانه في العهد القديم به « اسكن » ١٩ ، وان يفر عن حبريل عنه السلام « لرحل

ثم إن « أهل الذكر » المذكورين في القرآن هم أهل التوراة والإنجيل اللذين نزلوا من السماء على موسى وعيسى ، لا لكتب المسماة بالعهد القديم والعهد الجديد ، وهي الكتب التي ألّفت تأليفا وتجمع بين ما نزل من السماء مما حفظ عن موسى وعيسى عليهما السلام وبين ما أوحى به لمؤلفيها الشياطين . وأهل الذكر هؤلاء هم الذين دخل منهم الكثيرون في الإسلام ولا يزالون يدخلون وقد بين القرآن في عدة مواضع منه أن أهل الكتاب قد زوروا كتبهم وكتبوا أشياء من عند أنفسهم وقالوا إنها من عند الله ، فكان يسعى على أولئك المعترضين أن يعرفوا هذا وأن يعرفوا أنه سبحانه وتعالى لا يمكن أبدا أن يقصد « أهل الذكر » هؤلاء الذين يؤمنون بتلك لكتب المزورة .

ومع ذلك فلننظر في هذه الكتب لترى ماذا تقول ، فاصا بالسنة لسارة ، وهي أقدم الساء التي أشار إليها المعترضون ، فإن سفر « التكوين » ، وهو السفر الذي توجد فيه قصتها هي وإسراييم وذريتهما ، لا يذكر أبدا أنها نبية أو رسولة ، ولا يشير إلى ذلك أدنى إشارة لا من قريب أو بعيد . وكذلك الحال بالسنة لرفقة بروحة

أنها إسحاق

ومن يقرأ قصة إبراهيم وإسحاق وزوجتيهما حسما جاءت في سفر « التكوين » يستعرب أشد الاستعراب من جراحة أولئك الذين يريدون أن يجعلوه هو وامثاله من أسفار الكتاب المقدس محك للقرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهذه بعض الملاحظات السريعة على تلك القصة ، وهي كفيلة بأن يفقد القارئ ، الثقة بالسفر كله وبالكتاب المقدس اجمع :

من هذه الملاحظات أن الله قد ظهر لإبراهيم واسمه إسحاق عليهما السلام عدة مرات وعاشا بعدها لم يحدث لهما شيء . (١١١) ، مع أن العهد القديم ، كما رأينا فيما سبق ، يقول أنه ما من حد يرى الله ثم يعيش بعدها . وذلك كله بعض البصر على أن الله سبحانه لا تسكن رؤيته في الدنيا .

ويجترى ، مولف لسفر على الذات العلية فيقول أن الله سبحانه حينما سمع شدة صرخ سدوم وعمورة بسبب كثرة خطاياهم قال « أن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وحطيتهم قد عظمت جدا أنزل وري هل فعلوا بالتصام حسب صرحها الاتى الى والا فأعلمه » (١٢) . وكان الله عز وجل لا يستضع أن يتأكد من وقوع أى امر إلا بعد أن يذهب

بتنفسه وشاهد بعينه ! فما الذى يتنى من الألوهية بعد هذا ؟ وما الفرق بينه وبيننا نحن الشر ؟

ويغفر الإنسان فاء دحشة مما يسهه كاتب السفر إلى إبراهيم عليه السلام ، وهو النبى الكريم ، إذ يقول عنه إنه لما ذهب إلى مصر أوصى امرأته أن تنكر أنها زوجته ، حتى إذا حلت في عبي فرعون أخذها دون أن يعكر فى قتله (١٣) . وهى فعلة لا يأتياها إلا ديوث ، وحاشا لأبياء ، الله المصطفى أن يذكروا فيها بله أن يقدموا عليها . ولا يحدث هذا مرة بل مرتين ، وكانت المرة الثانية مع أيمالك ملك جرار (١٤) . ليس هذا فحسب ، فإن ابنه إسحاق عليه السلام ، على حسب ما جاء فى هذا السفر أيضا ، قد كرز ما صنعه أبوه من قتل ومع أيمالك نفسه أيضا (١٥) . فكأن الذبابة مما ورثه عن أبيه على حسب ما كتب القوم . أستغفر الله !

ويقول كاتب السفر إن الله قد أمر إبراهيم قائلا : « حذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب إلى ارض المِرتا وأصعده هناك مُحَرَّقة على أحد الجبال الذى اقول لك » (١٦) ، رغم أن إبراهيم كان له انذاك ولدان : اسماعيل وإسحاق ، بل انه رزق باسماعيل قبل إسحاق سنين ، أى أن إسحاق لم يكن وحيداً له يوماً من الأيام . فهذه

كذبة شعاء ، ويزيدها شناعة أن تُنسب إلى الله سبحانه

والعجيب أن إبراهيم ، حينما يأمره الله بذلك ، لا يعد في الامر ما يدعو إلى الاستعراب ، برغم ان الله كان قد بشره بأنه سيكون له من اسحاق هذا نسل (١٧) ، ولم يكن اسحاق حين أمر إبراهيم بدفعه إلا صبيا صغيرا لم يتزوج بعد . وكان يسفى أن يسأل إبراهيم نفسه . كيف يأمرنى الله بذبح ابنى قبل أن يتزوج وتكون لى منه ذرية حسما بشرنى ؟

ويتناقض كاتب السفر فى تفسيره لتسمية « بنر سبع » بهذا الاسم . مرة يقول إن إبراهيم كان قد أعطى ايمالك سبع نعاك لكى تكون له شهادة بأنه حفر تلك النر (١٨) ، ثم يعود بعد عدة صفحات فيقدم تفسيراً آخر مخالفا لهذا كل المخالفة ، اذ قال ان عيد اسحاق بعد ان كان إبراهيم عليه السلام قد انتقل الى جوار ربه برمس طويل (جاءوا وأحروده عن نر حمروها ووجدوا فيها ماء ، فسقى هذه لنر « شبعة » ، ولذلك سميت المدينة باسم « بنر سبع » (١٩) ، نى على اسم النر المذكورة .

وفى هذا السفر أيضا أن يعقوب (بن اسحاق ورفقة) يشترط على الله لكى يرمى به ان يحمله من معاطى الطريق ويعيده لى سنه

سألتا ويررته انطعم والمثلي (٢٠) فانظر إلى هذا الإيمان المشروط !
 ويزيد الأمر عينا ان يُنسب ذلك إلى سي اس سي !
 وفيه أيضا ان الله قد تحلى له في الطريق فاشتكا معا في
 صراع طويل ومرير حتى طلوع الفجر وان يعقوب قد أمسك به بسحابه
 إمساكة لم يستطع أن يتخلص منها إلا بعد أن جمع كل قوته وصره
 على حَقَّ وحده بعزم اليأس الذي لم يكن يصدق بالبحاة من
 غريمه (٢١)

ثم كيف تكون سيرة من تحفد على اس صرتها كل ذلك الحقد
 الذي دفع سارة إلى ان تطلب من إبراهيم ان يطرد هاجر واسمها
 إسماعيل ويعمره من الميراث ويجعله كله لاسمها إسحاق ظلما وعدوان ؟
 وقد كان لها ما أرادت (٢٢) .

أم كيف تكون سيرة من ترسم ، كما رسمت رفة ، لاهد اسمها
 حطة كذب وعدو وسفالة ليسرق لنفسه الشركة التي كان ابوه سيعطيها
 لاخته لأكبر فتنسب في حقد متاجح بين ولدني كندها لا يحو مع
 الأيام ؟ (٢٣) . هذه ليست أخلاق الانبياء حتى لو كن من الحسن
 اللطيف ، ثم لم يكن هناك أي مس من شانه ان يدفع تلك
 « السه » لمريمه ان تصع ما صعب من الاسم كنه لا بعد

يكون نروة سحيفة حمقاء ، لا يمكن أن تقع فيها أى أم عندها مسكة
من عقل فصلاً عن نية !

فهذا عن السوة المزعومة لسارة ورققة . وباتى إلى مريم بنت
عمران . ولست أظن ان المقصود أم المسيح عليه السلام ، فالصارى لا
يسمونها مريم بنت عمران ، بل يعترضون على القرآن لذلك ، قائلين إنه
يخلط بينها وبين مريم أخت موسى وهارون ، وان اسم أبيها هو
يواقيم ، فصلاً عن انها ، فيما يعرف ، لا يقولون سوة مريم أم
عيسى . اب المقصود مريم أخت موسى وهارون عليهما السلام ،
فانوه هو عمران ^١ « عمران » في اللغة العربية) على ما مر
بنا . وقد وردت اشارة إلى نوة مريم هدد في سفر « لفرع » من
العهد القديم ، اد جا ، فيه النص التالي في سياق حكايته لفرع فرعون
وجوده في له رجاء بنى اسرائيل : « فأحدث مريم لسية حت
هارون لذات يدها . وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص
واحانتهم مريم رموا لرب فانه قد تعظم القرس وراكه طرحهما في
البحر » (٢٤) . وحده ، فما أعرف ، هي الإشارة الوحيدة إلى موتها
في العهد القديم

وانه لعرب حد عرب الا يذكر لتلك السنة المدعاة عمل

إلا الدق على الدف لضبط الإيقاع للراقصات ! ترى أهذه سبة أم
« عالمة » رفاقة ؟ وأين يا ترى نحن ؟ أفنى ملهى ليلي أم فى حصرة
أسياء ؟ ان مكان هذه المرأة المناسب هو ثلاثية نحيب محفوظ لا كتاب
يقول أتباعه انه مقدس وموخرى به من السماء !

ثم يلتقى مع مريم حده ثابته فى سفر « العدد » . وليس
الموقف الذى سنقابلها فيه أفضل كثيرا من سابقه وإذا كانت فى
الموقف الماضى تمسك بالدف لتوقع عليه لمجموعة الراقصات وبها هيا
تغتاب احاد موسى وتحقد عليه . « وتكلمت مريم وهارون على
موسى بسب المرأة الكوشية التى اتخذها . لانه قد اتحد امرأة
كوشية فقالا حل كلم الرب موسى وحده . ألم يكلمنا نحن أيضا
فسمع الرب . واما الرجل موسى فكان حليما جدا اكثر من جميع
الناس الذين على وجه الأرض » وقد عصب الله عليهم لذلك .
وان كان قد عاقبها وحدها (ولا ندرى السب فى هذا) وصرى
بالرص ! (٢٥) وسأسل مرة أخرى : أيمكن أن تكون مثل حده المرأة
سنة ؟ لقد حرلت النسوة هزالاً قبيحا إبن حتى سامها كل مفلس !
وأحب أن يعرف القارئ انه لم يحدث أن كلم الله هارون وهوى ذلك
فهارون ليس سباً من اسياء الله فى العهد القديم . اما هو سبى

لموسى (٢٦) . وموسى هو الذى كل يصدر اليه الاوامر بوصفه انب له . وقد مرزت الإشارة إلى ذلك كما لا يُذكر فى أى موضع من العهد القديم أن الله قد كلم مريم ، على عكس ما يقول كاتب سفر « العدد » فى النص الذى مر آنفا . ولم يرد الة فى العهد لقديم ن مريم هدد قد بلغت عن ربها لأحد شيئا ثم ان الله سبحانه لا يعاقب أنبياءه ، بله يضرهم بالرحم

وتسقى حة . وهى حة بنت موبيل ، التى يقول عنها لوقا فى انجيله . « وكانت سة حة بنت موبيل من سبط اشير . وهى متقدمة فى ايام كثيرة . قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد تكويرتها . وهى أرملة نحو اربع وثمانيس سة لا تفارق الهيكل عابدة بالصوم وطلبت ليلا ونهارا » (٢٧) . وكما ترى فليس فى النص (ولا فى أى مكان آخر من لوقا أو غيره من الاناجيل) كيف أصبحت حة المرأة سة . إما هو مجرد ادعاء ، ليس عمر بل ان النص نفسه ليكذب هدد الادعاء ، اذ فيه أنها لم تكن تفارق الهيكل وأن كل ما كانت تفعله هو الصوم والصلاة ، فليس ومضى وكيف كانت تمارس مباد لسوة المزعومة ؟ إن القرآن يقول : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا روحى اليهم » ، ما يعيد ان المسألة ليست مجرد انهاء أو وحى ...

هى رسالة يرسل الله بها رجالاً إلى أقوامهم ، فليدلنا من يكذبون
القرآن على امرأة (امرأة واحدة) قد أرسلها الله إلى قومها

وإذا كانت الكهانة فى الشريعة اليهودية ، كما هو معروف ،
مقصورة على الذكور وحدهم من نسل لاوى ، فكيف يمكن أن يكون
باب النسوة مفتوحاً على مصراعيه للرجال وللنساء على السواء رغم أن
النسوة أهم وأخطر من الكهانة بمراحل ؟ بل انه حينما اختار موسى
سبعين من كبار قومه ليزحفوا معه إلى خيمة الاجتماع حيث يقفون
هناك وينزل الله ويتكلم معهم ويأخذ من الروح الذى على موسى ويضع
عليهم حتى يحملوا معه ثقل الشعب ولا يفرد هو وحده بهذا العبء
كان أولئك السبعون كلهم رجالاً بحسب الأمر الإلهى كما جاء فى سفر
« العدد » . وقد حدث حين نزل الله سبحانه فى سحابة وتكلم معهم
وأخذ من الروح الذى على موسى ووضع عليهم أن « تساووا » حسماً .
حسماً جاء فى السفر المذكور (٢٨)

وفى الحقيقة فإنه يصعب علينا تماماً أن نتصور امرأة مرسله
لهداية الناس وقيادتهم إن المرأة بطبيعتها ضعيفة المنة ، وتتعرض
للحيض والحمل والولادة والفاس ، وتحصع لروحها وبخاصة فى بلاد
الشرق حيث ظهرت أولئك السيدات فى رعم المعترضين ، فكيف يمكنها

ر نفوم سوظفة الرسالة بحلالها وقديسيتهما وتبعاتها الثقال التي لا يقدر عليها الا الافذاذ اولو العزم من الرجال ؟ أليس مصحكا أن تتحيل سية حصا أو حاملا قد برز بطنها للأمام فهي تتأوه وتضع يديها على حصرتيها وتتقايأ ، أو وهي تضع وليدها وصراخها يبلع عنان السماء ؟ ومادا تفعل إذ أمرت ان تسلك للناس وحيا مما سزل عليها فاعترض زوجها وسهاها عن الخروج من البيت مهددا إياها بالطلاق ؟ إننى هنا لا اتهمكم ، فإن الشريعة اليهودية مثلا تشترط موافقة الأب على بدر استه ، ولزوح على بدر زوجته ، والا فلا بدر عليهما (٢٩) .

وان من يعرف أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالمرأة عند ولادتها وحيصها ليستغرب اشد الاستعراب مما جاء فى الكتاب المقدس عن وحرد ساء نيات إن الطمث عند اليهود يمتد سبعة أيام ، وكل من يمى لمرأة فى هذه الأثناء يظل محسا إلى المساء ، وكذلك كل ما تضطجع أو تحلس عليه . بل إبه إذا ممى أحد فراشها فإنه يكون أبصا محسا حتى المساء ، وعليه ان يغسل ثيابه ويستحم . ويسرى هذا الحكم ابصا حتى لو لم يكى الدم الذى سليل من المرأة دم حيض . وعندما تظهر المرأة من دمها فإنها تنفى سبعة ايام أخرى قبل أن تظهر ، وفى اليوم الشاس تأخذ دبيعة حطة ودبيعة مخرقة وتذهب

بهما إلى باب حيمة الاجتماع حيث تبقى هناك ولا تدخل ، فتسلمهما
للكاهن ليكفر بهما عنها من سبيل نجاستها. كذلك فإن الاتصال
الجسدي بين الرجل والمرأة ينجسهما إلى المساء ، أما الولادة فبها
تنجس المرأة أسبوعاً إن كان المولود ذكراً ولا تنجس حينئذ شيئاً مقدساً
ثلاثة وثلاثين يوماً ، وأما إن كان المولود أنثى فتنجس الأم لمدة
أسبوعين ولا تنجس شيئاً مقدساً ستة وستين يوماً (٣٠)

٢. السوء في الكتاب المقدس تبدو في كثير من الأحيان وقد
حدثت من مصونها الذي نعرفه : فنوح مثلاً يسكر حتى يفقد وعيه
وينطرح على الأرض وتتعرض سواته أمام كل من هب ودب وإبراهيم
يتنازل عن امرأته صرتين لصرعون وأبيمالك ، ولولا تدخل السماء في
اللحظة الأخيرة لاصططح معها دابك العاهلان وسريه تصرب بالدق
للزفقات وتعتقد على أحيائها ونعتائيه ، ويصرها الله بأسرعي وشاول
(وكان في عهد داود) عندما يتسأ يخلع ثيابه ويطرح عريانيا نهاره
كله وليله أمام الناس (٣١) .

والأمبياء يطهرون في نفس الوقت وفي نفس الموضع جماعات
جماعات ، وقد يتسبون على أنعام الرماح والدق والسبي والنعوذ (٣٢) ،
حتى لسفول العقاد حق أن شان الأكثري منهن لا يريد على شان

الندراويش واحاديث المس يذكرون الاطفال ، ويشفون الموصى ،
 ويتموهون بالاقويل التى تقل النازل على كل وحه حسما يرتاح إليه
 السامع ، ويعيشون على الفصلات الى ملقها إليهم الناس (٣٣)
 ولا يميز كتاب العهد القديم بين الانبياء الصادقين والانبياء
 الكذبة ، فكلمهم عندهم انبياء (٣٤) أما فى الإسلام فالنبي شىء ،
 والمتنسى شىء آخر .

نخلص مما مرّ إلى انه لا يحق للمعتصين أن يكذبوا ما جاء
 فى القرآن من قوله تعالى « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً بوحي
 إليهم » ، فقد يتبادر أن « رجالاً » فى الآية تعنى « بشرًا » ، وهو
 ما لا يمكن أن يعارضه احد ، إذ ليس فى تاريخ السوات أن الانبياء
 كانوا فى يوم من الايام ملائكة . ثم إننا لم نكتف بهذا ، بل أوضحنا
 أن الله لا يمكن أن يكون قد « أرسل » رسلا من النساء . وليس فى
 العهد القديم نبيات مرسلات أما إن كان المقصود مجرد الالهام أو
 الوحي لبعض السوة تطمين أو شارة ، كما هو الحال مع أم موسى
 وأم عيسى عليهما جميعاً السلام ، فذلك شىء آخر لم تنفقه الآية ، بل
 تحدث القرآن عنه .

وعلى هذا فان كلمة « رجالاً » فى الآية التى نحن

بصدها) تدل في نفس الوقت على أن الأنبياء الذين « أرسلهم » الله
لهداية العباد وقيادتهم كانوا بشرا ، وكانوا رجالاً لا ساء . وهذا من
أسلوب القرآن العذ ، إذ إنه بكلمة واحدة قد أصاب المعنيين جميعاً .

الهوامش

- ١- محن / ٤٢ . والآباء / ٧
- ٢- رسائل النحاحظ / ٤ / ٣٠٥ - ٣٠٦
- ٣- الفرقان / ٧ . ٢٠ مثلا
- ٤- الأنساء / ٤
- ٥- لأمه / ٨ . وهو / ١٢ . والإبراء / ٩٢ . ٩٤ . والفرقان / ٧ .
- ٢٦ . برحرف ٣٢
- ٦- مثلا جود / ٢٧ . وإبراهيم / ٦٠ . وخمسون - ٧٤ . ٢٧ . ولشعراء /
- ١٥٤ . ١٨٦ . وقصص / ١٤ . والقمر / ٢٤
- ٧- الآباء / ٧ - ٨ . وانظر الآية / ٢٤ من نفس السورة
- ٨- نصر سلا محار . تصحاح وشحد ومعه يوسف . مادة " رح " .
- ٩- تكوين / ٢٢ / ٢٤ - ٣٠
- ١٠- دانيال / ٩ / ٢٦
- ١١- تكوين / ١٢ . ٧ . ١٧ . ١٨ . ١٩ . ٢٦ . ٢٤
- ١٢- تكوين / ١٨ / ٢٠ - ٢٩
- ١٣- تكوين / ١٢ / ١٠ - ٢٠
- ١٤- تكوين / ٣٠ / ١ - ٧
- ١٥- تكوين / ٢٦ . ١ - ١١
- ١٦- تكوين / ٢٢ . ٢
- ١٧- تكوين / ١٧ . ١٩ . ٢٦ . ١٢
- ١٨- تكوين / ٢١ . ٢٢ . ٣١

١٩- تكوين / ٢٦ / ٢٢ - ٢٣

٢٠- تكوين / ٢٨ / ٢٠ - ٢٢

٢١- تكوين / ٢٢ / ٢٤ - ٢٠

٢٢- تكوين / ٢١ / ٩ - ١٠

٢٣- تكوين / الأصحاحان ٢٧ - ٢٨ وما بعدهما

٢٤- خروج / ١٥ / ٢٠ - ٢١

٢٥- عدد / ١٢ / ١ - ١٠

٢٦- قد. عد. هذه الإشارة إلى سوية موسى فيه عهد السلا لا يُذكر في العهد

القديم إلا بوضعه كاهن لا غير

٢٧- لوقا / ٢ / ٢٦ - ٢٧

٢٨- عدد / ١١ / ١٦ - ١٧ ، ٢٤ - ٢٩

٢٩- عدد / الأصحاح ٣٠ كله

٣٠- لوقا / ١٢ / ١ - ٨

٣١- صموئيل الأول / ١٩ / ٢٤

٣٢- انظر مثلاً صموئيل الأول / ١٠ / ٥ - ١١ ، و ١٩ / ٢٠ - ٢٢

٣٣- انظر عباس محمود العقاد / مطلع أسرار / ضمن « موسوعة العقاد

الإسلامية » / ١ / ٨٢٩ ؛

٣٤- انظر مثلاً عدد / ١١ / ٢٤ - ٢٩ ، وثنية / ١٢ / ١ - ٥ ، و ١٧ /

٢٠ - ٢٢ ، و ٥ / ٣١ ، و ٦ / ١٢ ، و ١٤ / ١٥ ، و ٢٣ / ١١ -

٢ ، و حرقبيل / ٢٢ / ٢٥ ، ٢٨ ، و انظر كذلك ر. محمد تلاهوني / ١٦ / ١٣ ،

و ٢٠ / ١٠

٧- كلام عيسى في المهد

كذلك كان ما ذكره القرآن من كلام عيسى في المهد مشيراً
لاعتراض البصري وملخص كلامهم أنهم ، رغم تعجبهم له عليه
السلام ، لا يعرفون له تلك المعزة ، وكذلك لا يعرفها اليهود ولا
المحوس ولا الصائنة ولا الهنود ولا الترك ولا الحزر ، ولم تسجل في
الاجل رغم أن الكلام في المهد أعجب من كل عجب ، إذ هو امر
يترد به عيسى دون سائر الانبياء والمرسلين ، فضلاً عن ان الحداق فيه
عمر ممكن ، فالطفل الرضيع لا يستطيع حيلة ولا تمويها (١١)
وقد رد الحافظ ، رحمه الله ، بأن اليهود لا يقرّون لعيسى بآية
معزة (٢١) ، بل يرون انه كان صاحب رقى وشعيرة وحبل وانه كانت
عنه معرفة بالطب والكتب ، وان ما يروى عن شفائه المقعدين انه
كان متفاد سابق بيته وبين بعض من الناس تظاهروا بانهم مريض
شفاهه اما بالنسبة لمن قل انه احاد بعد موته فلم يكن في رعمهم
ميت ، بل كان الامر مجرد اعماء ، فانه عيسى الفرصه وأوجه
الاساس انه كان ميتاً وبانه اعاد اليه الحداق وبمثل المحوس لا تقر
لعيسى بآية معزة اما الهند والحرر والترك فبهم لا يعترفون لسي
بآية معزة بل لا يروون سره اى منهم ، فلماذا الاستشهاد بهم في

مسألة كلام عيسى في المهد بالدات ؟

وسقى لصارى ورد الحاحص ما هو اهم اما قبلو ديههم
عن يوحنا ومتى (من الحواريس في زعمهم) ومارقس ولوقا (من
التابعين) ، وهؤلاء الاربعة لا يؤمن عليهم العلط ولا السبب ولا
تعمد الكذب ولا التواطؤ على اقتناء الرئاسة وإن اختلفت أجيالهم
وتناقصها مع بعضها البعض لدليل على ذلك (٣)

وصحح تماما ما يقوله النحاحظ عن اختلاف لاساحيل
وتناقضاتها بل واحطائها أيضا ويكفى أن تقول هذه الكتب إن عيسى
هو الله أو أن الله حتى تستفي عب الثقة ، إذ إن هذا بطبيعته صلال
بل كفر صريح ثم انه من العرب انصحك أن يقال مثلا ان هذا الإله
(أو أن الاله) قد تعمد على يد أحد من عباده ، وهو يحيى عليه
السلام (٤) ، أو أن الشيطان قد قاده إلى جناح الهيكل في القدس
ثم إلى إحدى قمة الحال ليحترقه وبعد ذلك أمره بالسجود له . فإى اله
ذلك الذى يحتاج إلى التعمد أصلا . فضلا عن أن يتم التعمد على يد
أحد من مخلوقاته ؟ وإى اله ذلك الذى يتووده ابليس فيقتاد له ؟
وكيف يطمع ابليس في زبه إلى هذا النحد المحزى ؟ والطريف ان عيسى
(وهو اله في زعمهم) برد على السطون حين نامرد بالسجود له

قائلا : « مكتوب : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (٥) ، أى أن عيسى يعترف بأنه مجرد عبد وأن عليه أن يسجد لربه فكيف يكون إلهًا ويكون له فى نفس الوقت إله ؟ وبالمساسة فتعميد يحيى لعيسى واحتار إبليس له ليسا مذكورين فى إنجيل يوحنا ، على عكس الأناجيل الثلاثة الأخرى .

كذلك فهى سلسلتى النسب اللتين أوردتهما متى ولوقا للمسيح اس مريم عليه السلام اختلاف شديد حسا اشرا من قبل . ويمكن للقارئ، الرجوع إليهما بعينه لرى كثرة الاختلافات والتناقضات التى بينهما . وحسنا أن نقول هنا مرة أخرى إن كلتا السلسلتين تنسبه إلى يوسف النجار بل إن أمه هى أيضا تقول له إن يوسف أبوك وقد مر هذا أبنا .

وعيسى عليه السلام ، حسما حاء فى الأناجيل ، يقول مؤكدا : « لا تظنوا أنى جئت لأنقص الساموس أو الأشياء . ما جئت لأنقص بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تروا السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الساموس حتى يكون الكل . فمن نقص إحدى الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت

السموات « (٦٦) . ونعني بذلك يظن هو نفسه حادث ما جاء في
 السامس . مثل ذلك ان الطلاق كان مشروعاً قبله عليه السلام وح
 هو وحرمة الا نعمة الرى ، بل جعل الزواج من المرأة المطلقة لربا من
 لوان اربى كما ان الحلف بالله كان حراماً قبله ، ثم اتى هو وحرمة
 كذلك حرم القصاص ، بل نهى عن مقاومة الشر اليت (٧) . ولا يكتب
 بذلك بل جعل ما يامر به تلاميذه او ينهاون عنه شرعاً إلهياً
 واجباً (٨) . ومعروف ما فعله بولس بعد ذلك من تحليل الميتة
 والحزير والعداء الحنا . وهذا كله نقص للسامس

وهو ، حسماً جاء في الاصحاح الحادية ، يقول لبطرس .
 « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة (يقصد بالصخرة هنا بطرس) ابنى
 كنيستى واسواب الحميم لى تقوى عليها . وأعطيك مفتاح ملكوت
 السموات . فكل ما تربطه فى الارض يكون مربوطاً فى السموات وكل
 ما تحله على الارض يكون محلولاً فى السموات » (٩) . ثم يستدير
 ٣٦٠ درجة قابلاً لبطرس هذا نفسه بعد ثلاثة اسطر « ادع
 عنى يا شيطان ، أنت معثرة لى لانك لا تهتم بما لله لكى بما
 للناس » (١٠) ، وذلك حين انتهره هذا السيد . فأتى له ذلك لدى
 يعير رابه هكذا وشبك ؟ واعترف من ذلك أن بطرس عندما انتهره كان

بناديه ر « يا رب » فكيف ينتهر إنسان ربه ؟

وهو عليه السلام يقول في موضع من الأناجيل : « لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ومن أراد أن يحاصمت واحد شريك فاترك له الرداء أيضا ومن سحرك ميلا فادهب معه اثنين احوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسوا إلى معصيتكم » (١١١) . ثم سمعه في موضع آخر يقول : « جئت لألقى نارا على الأرض فإذا أريد لو اضطرمت أنظفون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض كلا أقول لكم بل انقساما » (١٢)

كمثال قال عن نفسه انه لما يات إلى العالم ليدين الناس « لا يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » (١٣) وبعد قليل بعد عكس ذلك . إذ يعود فيقول ان « الاب لا يدين احدا بل أعطي كل الديونة للإنسان واعطاه سلطانا ان يدين ايضا لانه ابن الإنسان كما اسمع ادس وديوتنى عادلة » (١٤)

وهو يؤكد ان شهادته لنفسه ليست حقا (١٥) . لكنه لم حاكمه القريسون الى كلامه هذا عن نفسه قائلا له : « انت تشهد لنفسك شهادتك بنسب حقا » نفس ما كان قد قاله وأكد لهم ان شهادته لنفسه حق (١٦)

وحتى في قصة الصلب . الصلب اساس مسحة بعد
عصا : فالانجيل الثلاثة الاولى تفيد ان رجلا قروا باسمه سمعان هو
الذي حمل للصلب الذي قبل عليه لمسح (١٧) ، حتى حين يذكر
انجيل يوحنا انه هو الذي حمل صليبه نفسه (١٨)

ومرة يقال لنا ان اللصين اللذين صلبا معه كانا يعبرانه
ويستهزئان به كلاهما لانه زعم ادعاه انه بن الله قد عمر عن تحديس
نفسه من الصلب (١٩) ، ومرة أخرى يقال ان احد اللصين فقط
هو الذي عير ، اما الآخر فكان متعاطفا معه واستهر زميله
شدة ، ثم استهل لي عسى قائلا « ذكرى يا رب متى حنت في
ملكوتك » . فعده عيسى بانه سيكون معه في الفردوس في نفس
ذلك اليوم الذي وقع فيه الصلب على رعايته (٢٠) اب يوحنا فلم
يقبل في هذا الامر تينا فارج واستراح

وحتى الكلمات التي يدعى انه قد نطق بها وهو يسلم الروح
بعد الانجيل مختلفة فهنا اختلاف عيضا فهي عند متى
ومرقس « الهى الهى لماذا تركتني » (٢١) ، وفي انجيل لوقا
« يا ابي انا في يديك استودع روحي » (٢٢) ، وفي يوحنا « قد
اكمل » (٢٣) ثم ليس عجبنا ان هذا الاله الذي نزل من عليته

ليُصَلَّب تكفيرا عن ذنوب البشرية التي ورثتها عن أبيها آدم ، كما يقولون ، يأبى من آخر لحظة فصعب كل هذا الصعب ويدعو (يدعو من ؟ يدعو إليه !) أن يهب لسعدته ، ويستعرب من ألم لأنه تركه ولم يسادر لي إنقاذه ؟

أما الصابط الذي كان يشرف على عملية الصلب ففي بعض الانجيل أنه قال بعد أن شاهد بعض المعجزات التي وقعت آنذاك - « حقا كان هذا (الإنسان) ابن الله » (٢٤) ، وفي بعضها الآخر « في الحقيقة كان هذا الإنسان بارا » (٢٥) وفي إنجيل يوحنا لا يوجد شيء من ذلك التة .

وبسما يذكر الانجيلان الاولان أن يلاطس قل أن يسلم عيسى بصلب قد قام بجلده (٢٦) نجد الإنجيليين الآخرين لا يقولان شيئا عن عملية الجلد تلك .

فهذه هي الأنجيل التي يجعلونها مفيضة للقرآن ويحفظونه لانه ذكر سينا لم يرد فيها وأحب أن انه القاري، إلى أن ما ذكرته من الاختلافات والناقضات من الأنجيل إنما هو عيب من نص وقد فحص المعبور بدراسة الكتاب المقدس من عربيس وشرقيس وبصري ومسلمي في رصد هذه الاخطاء . وذكره ، مدرج القاري،

إليهم إذا أراد .

وعلمنا ألا نسى أن الأناجيل الأربعة الموثوق بها عندهم قد كتبت بعد رفع عيسى عليه السلام بعشرات السنين ومن الذاكرة ، أى بعد أن كانت قد نُسيت أشياء ، وزيدت أشياء ، واقتحمت الوثيقة العقائد والتشريعات النصرانية . وكلامه في المهد معجزة قد وقعت قبل أن يصير سبياً ويصبح منهما في نظر الناس نزعاً طويلاً بحيث يهتمون بما يقول أو يفعل ويحفظونه ، وكان ذلك أمام قوم أمه ولم يكن أمام الناس جميعاً فأغلب الظن أن ذلك هو السبب في أن هذه المعجزة لم تشع شيوع معجزاته الأخرى بل إنه كانت في بعض الأناجيل التي تعتمد على الكسبية أشياء ، خُذفت منها ، فصلا عن صياح معظم رسائل بولس (٢٧) .

ثم إن الأناجيل التي كتبت عن سيرة المسيح كانت بالعشرات ، وعدم ذكر الأناجيل الأربعة لكلامه في المهد لا يدل بالضرورة على أنه لم يقع ويقول جماعة من اللاهوتيين النصارى إن الأناجيل الأربعة « لا تتضمن تاريخاً كاملاً عن أعمال رب المجد وتعاليمه بل ذكر شخصه ووظيفته وتأسيس النظام المسحى ، الذى هو موضوعه الأعظم ، على أسلوب مختصر » (٢٨) وفي إنجيل الصا (أو الطفولة) ، الذى

كتب في سفر صريح عنه السلام . انه كان يحلق من الطير كهذه ،
الطير (٢٩١) . مع ان ديد ليس في اللاحيل الاربعة انفسه . عند
الكبسة كما ذكره لحييل ربما معجرات اخرى لم ترد في اللاحيل
لاربعة . مثل صراح حجرة اورشليم تباركه ومعجزة المرأة (٣٠١) .

وفي حد اللاحيل ايضا انه نكلم في المهد ، ان جاء فيه ان
اطفل برصبع قد حدث المحوس الذين اتوا من بلاده الى المنزل الذي
ولد فيه ، محذرا اياه ان يعرفوا في طريق عودتهم بهيرودس . حتى لا
يعرف منهم مكان وجوده فيقتله (٣١١) ومن الصعب الادعاء بان أحد
من يريدون الدعاية للسلام هو الذي كتب حد في اللاحيل المذكور . د
ان الكلام الذي ورد في القرآن على لسانه عليه السلام وهو لا يزال
رصعا يختلف عن حد . كما ان الموقت غير الموقت ، فقد وقع كلامه
في لقرن عندما شرت امه اليه ردا على اتهامه اياه بالنسب ،
وكان على النحو التالي « ابي عبد الله ، اتاني الكتاب وحملني
سب » وحملني مبارك اسمك وأوصاني بالصلاة والركاة مدمت
حيا * ورا بوالدتي وم جعلني حمارا ثقيلا * والسلام على يوم ولدت
ويوم أموت ويوم أعث حيا » (٣٢) فهذه التفاصيل مختلفة عما
ورد في ربما رعه تنافى الكتاب على كلامه في المهد . ومثل ذلك

يقال فيما رواد إيجيل الطغولة عن كلامه وهو طفل رضيع ، اد إن ما
قاله آنذاك حسب ذلك الإيجيل هو أنه ابن الله (٣٣)

وقد سمع الجاشى وطارقته صدر سورة « مريم » وفيه كلامه
عليه السلام في المهدي حواليا على إشارة أمه اليه عندما اتهمت بأنها
ولدت من سفاح ، ولم يسكر أحد منهم ذلك ، بل أقر الجاشى بأن ما
يقوله القرآن عن عيسى عليه السلام هو نفس ما يؤمنون به (٣٤)

وقد كان كبار رجال الدين الصارى النحراثيين الذين وفدوا على
السى صلى الله عليه وسلم في المدينة يؤمنون بمعجزة كلام عيسى عليه
السلام في المهدي ، بل انه اتخذوها حجة على أنه ابن الله (٣٥) .

وكذلك اقر الاسا شودة (السابا شودة حاليا) بما جاء في
القرآن عن كلامه عليه السلام في المهدي ، مؤكدا أنه معجزة لم تحدث
لأحد من قبله ولا من بعده (٣٦) .

ويستكر القرائى ، رحمه الله ، اعتراض المعترضين من الصارى
على ما ذكر القرآن من كلام عيسى في المهدي مؤكدا ان من الغريب ان
يكون اله (في زعمهم) قادرا على كل شىء ، ومع هذا يركبونه
بهناء لتهمة الرسى دون ان يبادر الى تبرئهم ان هم انتهى
العقوب (٣٧) ويسعى ان يصف هذا انه لو لم يحدث مثل هذه

المعجم له خمس مبرمات سريعة موسى : ١ ما من شيء يلو موسى
ووصح من المعجم ، في لا يحل لهم اتوا الى عيسى بامرأة ربه
ليسد فيها حكمة الرحم على ما تقتضى به سرعة التوراة (٣٨١)

النوامش

- ١- انظر * رسائل الحافظ « ٢ / ٣٠٦ - ٣٠٨
- ٢- وحيث انهم لم يكونوا يرون الله سي . فعلا عن ان يكون إليها أو من إليه
- ٣- رسائل الحافظ / ٣ / ٣٢٤ - ٣٢٩
- ٤- منى / ٣ / ١٣ - ١٦ ، ومرقس / ١ / ٩ ، ولوقا / ٣ / ٢١
- ٥- منى / ٤ / ١ - ١٠ ، ومرقس / ١ / ١٢ - ١٣ ، ولوقا / ٤ / ١ -
- ٦- منى / ٥ / ١٧ - ٢٠
- ٧- منى / ٥ / ٣١ - ٤٢ ، ومرقس / ١٠ / ٢ - ١٢
- ٨- منى / ١٦ / ١٩ ، و ١٨ / ١٨ / ١٩
- ٩- منى / ١٦ / ١٨ - ١٩
- ١٠- منى / ١٦ / ٢٢
- ١١- منى / ٥ / ٢٩ - ٣٢ ، يوحنا / ٦ / ٢٧ - ٣٦
- ١٢- لوقا / ١٢ / ٣٩ - ٥١
- ١٣- يوحنا / ٣ / ١٧
- ١٤- يوحنا / ٥ / ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠
- ١٥- يوحنا / ٥ / ٣١
- ١٦- يوحنا / ٨ / ١٣ - ١٤ ، ١٨
- ١٧- منى / ٢٧ / ٣٢ ، ومرقس - ١٥ / ٢١ ، ولوقا / ٢٣ / ٢٦
- ١٨ يوحنا / ١٩ / ١٧
- ١٩ منى / ٢٧ / ٣٢ ، ومرقس - ١٥ / ٢٢

- ٢٠- بوى ٢٢ ٢٩ ٢٠
- ٢١- مري ٢٧ ٢٦ ، ومرقس / ١٥ / ٢٥
- ٢٢- لوقا / ٢٣ / ٢٦
- ٢٣- يوحنا / ١٩ / ٣٠
- ٢٤- متى / ٢٧ / ٢٤ ، ومرقس / ١٥ / ٢٩
- ٢٥- لوقا / ٢٣ / ٤٧
- ٢٦- متى / ٢٧ / ٢٥ ، ومرقس / ١٥ / ١٥
- ٢٧- نظير مثلاً ، دو - لغة مختار - ترجمة محمد بدران / ١١ /
- ٢٦٢ ، ١٥ / ٢٢١ ، نهام - محمد - كشد - حواظر مسلم عن العهد
- ، لاجل والافساد ١٥ - ١٥٢
- ٢٨- كتاب « مر محمد » لجماعة من اللاهوتيين مسيحيين ٢٢٦ - ٢٢٧
- ٢٩- نظر تفسير اثنار / ٣ / ٢٦٩
- ٣٠- انجيل برنابا / ترجمة د. خليل سعدة / ٢٩٢ - ٢٩٣
- ٣١- انجيل برنابا / ٩
- ٣٢- مريه / ٢٧ - ٢٣
- ٣٣- انجيل لوقا / الاصحاح ١ / ٢ - ٣ محمد عورت لظهاوى
- محمد صلي الله عليه وسلم في اسلامه في لور والامم والشرق / ١١٠ - ١١١
- ٣٤- انجيل مريه / ١ / ٢٣٥ - ٢٣٧
- ٣٥- شرح مريه / ١ / ٢٧٥
- ٣٦- نظير مثلاً ، الفرس ومحمده « ملاب لثوده » محله « نهال »
- نصيه - ديسمبر ١٩٧٠ء / ٢٥

٢٧- انظر القرافي / الأجوبة الفاحرة عن الأسئلة الفاحرة / تحقيق د بكر

ركي عوض / ٢٤٧ - ٢٤٨

٢٨- يوحنا / ٨ / ٩ وما بعدها

٨ هل النصارى أقرب مودة من غيرهم للمسلمين ؟

وقد تطرق الحافظ ، في آث ، مناقشة منتهات النصارى التي عرّض بها رده عليها في رسالته ، إلى موقف عوام المسلمين منهم ، وليس سيى صاروا به أحب إليهم من المحوس ، والله صدورا عنده من اليهود وقرب مودة وأقل عاقلة وأصغر كفرا وأخون عدا ، وكيف يعطى كبير من المسلمين في ناييل قوله تعالى « لتحدثن الله الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتحدثن الله مودة للذين آمنوا » قالوا : أما نصارى ذلك من سبه قسيسين ورضايان وإيه لا يستكبرون ؟ رد سمعوا ما ارسل إلى الرسول ترى عندهم تقبض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : رسا ، الله ، فاكنت مع الشاهدين ؟ وما لا يومس بالله رسا ، الله من الحق ويطمع ، يدخل رسا مع القوم الصالحين ؟ فأنشدهم الله ما قالوا حناك تحرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جراء المنحسين « (١) » وقد علق الحافظ على ذلك بقوله : « وفي نفس الآية اعظم دليل على ن الله تعالى لما يغنى هؤلاء النصارى ولا أنشاهم الملكيه واليعقوبية ، والله عسى صرب (أى مثل) نحيروا وصرى الرضايان الذين كانوا يحدثهم سلمان (٢) ومن حمل قوله « الذين قالوا ان نصارى

على العلط منهم (أى على العلط من عوام المسلمين) فى الأسماء ،
وبين أن يحرم عليهم لأنهم نصارى . فزى « (٣)

وهذه من المسائل التى تحتاج الى توضيح وتفصيل أكثر من
ذلك ولابد فيها من الرجوع الى ما قانه القرآن فى المواضع المختلفة
منه فى النصارى وعقائدهم ، وعدة الاقتصار على هذه الآية التى
أشارت عند عوام المسلمين هذا الاشكال ، وبخاصة أن كثيرا من
النصارى من مستشرقين وعرب حنف يكتفون عن رأى القرآن فيهم
وفى دينهم يستشهدون بهذه الآية الكريمة دليلا على رضا الإسلام عنهم
وربهم الطيب فيهم والمصير السعيد الذى ينتظرهم هم وقساوستهم
ورحمتهم . وإلى القارىء ، خلاصة ما يحرج به الساحت فى القرآن عن وجه
الحق فى هذه القضية :

لقد وصف القرآن الكريم فى عدد من المواضع انحرافات
النصارى ، ومنها عقيدتهم فى « التثليث » ، وجعلها كُفْرًا من
الكُفْر ، وحكم على الذين يقولون بها بأنهم كُفَرٌ مشركون قال تعالى
« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم » وقال المسيح : يا
سى إسرائيل ، اعبدوا الله ربي وربكم . به من يَشْرِكُ بالله فقد حرم
الله عليه الجنة وماؤه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر

الذين قالوا : ان لله ثالث ثلاثة . وما من اله الا اله واحد . وإن لم ينهوا عما يقولون ليمس الدين كهروا منهم عذاب اليه » (٤) وهو يوكد أن عيسى لم يكن لا عبدا لله ورسولا احتاره ليلج رسالته إلى بني اسرائيل . ويصمّ الدين يدعون حلاف ذلك بالكذب والافساد ، ويدعو الى لعنهم « ان مثل عيسى عبد الله كمثّل آدم حلقه من تراب ثم قار له . كَيّ ، فيكون * الحق من ربك فلا تكفر من الممترين * فمنّ حاكك فيه من بعد ما حاك من العلم فقل . تعالوا بدعّ اساءنا وأنباءكم ونساءنا وساءكم وأنمت واشكم ثم نتهلّ فحعلّ لعنة الله على الكاذبين * إن هذا لهو القصص الحق . وما من إله إلا الله . وإن الله لهو العزيز الحكيم * فان تولّوا فان الله عليم بالمفسدين » (٥) .

وقد تكرر قرئته بينهم وبين اليهود ، مما يدل على أن هاك أوجه تشابه بين الفريقين . قال عز وجل : « وقلت لليهود : عزير ابن الله . وقالت النصارى : المسيح ابن الله . ذلك قولهم بافواههم ، يضاهنون قول الذين كهروا من قبل . قاتلهم الله ! أنى يؤفكون ؟ » تحذوا أحبارهم ورهبانهم أربانا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون *

يريدون ان يظفوا نور الله بأفواههم ، وبأنى الله إلا أن يسم نوره ولو
 كره الكافرون « (٦) وقال أنص . « وقالوا . لن يدخل لجة إلا
 من كان حوداً أو نصارى تلك أممهم قل هتوا برهكم ان كنتم
 صادقين « (٧) وقال سبحانه . « وقالت اليهود والنصارى نحن
 أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعدكم ربكم ؟ بل أنتم بشر ممن
 خلق يعمر لمن يشاء ويعذب من يشاء . ولله ملك السماوات والأرض
 وما بينهما ، وإليه المصير « (٨) وقال تعالى : « وقالوا كونيوا
 حوداً أو نصارى تهتدوا . قل : بل ملة إبراهيم حنيف ، وما كان من
 المشركين « (٩) .

وهذا الاقتران بينهما في القرآن غير مقتصور على الكلام عن
 عقائدهم المخرقة بل يشمل ايضاً مشاعر الكراهية والحقد التي يكتوبها
 للمسلمين ورعيتهم في ان يحتلوهم عن دسهم الحق ويحروهم معهم
 فيما هم فيه من كفر وصلاح : « ولن ترصى عنك اليهود ولا النصارى
 حتى تتسع ملتهم قل . ان هدى الله هو الهدى ولن تتعت
 أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا
 نصير « (١٠) « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد
 إيمانكم كفار . حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم

لحق فاعصوا واصتبحوا حتى ياتى الله بامرده ان الله على كل شيء
قدير « (١١) .

كذلك فان رأى القرآن فى معظم رجال الديس من ليهود
والنصارى انهم يصدون عن سبيل الله ويأكلون أموال أتباعهم بالباطل .
« يا أيها الديس آمنوا ، ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال
الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله . والديس يكرهون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله فشرهم بعذاب أليم » (١٢) وهو
يتوعدهم بعذاب أليم فى نار جهنم يعرّق أديانهم ويكرهها « يوم
يَحْشَى عليها فى نار جهنم فتَكْوَى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم : هذا
ما كنزتم لأنفسكم ، فنذوقوا ما كنتم تكزون » (١٣) وقد رأينا
كيف أن أتباعهم قد اتخذوهم أربابا من دون الله . وطبيعة الحال فقد
باركوا هذا ودفعوا إليه واستزادوا منه ، وإلا لكف أتباعهم عنه ولكان
لقرآن حينئذ قد برأهم من جريمة هؤلاء الأتباع وكفرهم .

مما تقدم يتبين لنا رأى القرآن السئى فى النصارى وعقائدهم
وبعضهم للإسلام والمسلمين وكذلك فى رجال دينهم وهم فى ذلك مثل
اليهود وأجبارهم ، فلماذا قال القرآن فيهم إذن : « لتجدن شذ الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين

أموا الذين قتلوا . أنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان وانهم
 لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض
 من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا ، اصنا ، فاكثب مع
 لشهدين * ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن
 يدخل ربنا مع القوم الصالحين ؟ * وثابهم الله بما قالوا جات
 تحرى من تحتها الأنهار حالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين » ، مما
 قد يفهم منه انه يفرق بينهم وبين اليهود فى مسألة المشاعر تجاه
 المؤمنين وفى مسألة المصير الذى يتطرحهم ؟ هل يعقل أن يكون لتقرآن
 رأيان فى الصارى متناقضان جدا التناقض ، إذ يصحبه بالكفر ولشرك
 والكذب والافساد والفوق فى مواضع منه ويتوعدهم بما يتوعد به كل
 كافر كذاب ، ثم ياتى فى هذه الآيات الأخيرة فيدكرهم بأنهم أقرب
 الناس مودة للذين آمنوا ويتحدث عن رقة قلوبهم ومساغرتهم إلى
 الأيمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ويشترهم بما اثابهم الله به
 من لحنات التى تحرى من تحتها الأنهار والحلود فيها جزاء لهم على
 إيمانهم وإحسانهم ؟

لقد وجدت عددا من الكتاب فى بعض الملاد العربية يذكر
 الصارى بحر وشى عليهم وسدحهم مستشهدا بهذه الآيات ، فكنْتُ

أتعجب من ذلك وأستعربه أشد الاستعراب ، وأحاول أن أبين أن الأمر ليس كما يظنون ولكن فريقا من الذين كُتُّ أحاورهم كانوا لا يقتنعون تمامًا بما أقول .

وقد كان مطلتي هو أن القرآن لا يمكن أن يتناقض مع بعضه فإذا كان يكفر الصاري ويتوعددهم بالعذاب الأليم ويدعوهم إلى التوبة مما هم عليه فلا يُعقل أن يرجع فيقول فيهم عكس ذلك مع بقائهم على ما هم عليه وعدم توبتهم منه وتوبتهم لن تكون بطبيعة الحال إلا بالتصديق برسالة محمد عليه الصلاة والسلام والتحول إلى الإسلام .

وكنتُ أصيف أن عداوة الصاري للإسلام طوال هذه القرون الأربعة عشر هي عداوة لدود ، وأن المسلمين لم يروا منهم رحمة ولا عدلا أو إصفا ، وأن موامراتهم علينا لم تنته ، وأنه قد اتضح لكل اسد الآن ما يحفظون له لفتنا عن ديب وإدخالنا في دينهم ، وكأنه لم يكفهم ما أنزلوه بنا من ويلات وتقتيل وتشكيل واستنزاف ثروات أيام أن كان ستعمارهم لبلادنا استعمارًا ظاهرًا ، ولا مازالوا يُسرِّلوننا بنا من هذا كله وعبره في هذه الأيام السود التي اتحدت سيطرتهم علينا أساليب 'حصى وأدهى ، وأن رجل دينهم من قساوسة وراهبان كانوا ومارلوا هم

الدين بحرصوبهم ويقودونهم ويمنونهم أثناء هذا العدوان الشرس الذى
 يصطفى بارد صد قرون . وكنت أدكر بالحروب الصليبية التى سحر بارها
 هؤلاء القساوسة والرهبان ، والقطاعة الشعة التى عامل الصارى بها
 احداث فى لادلس ، والعدر والحياة اللذت تولوا بهما الى حق
 لانفاس الأخيرة للمسلمين حاك حتى اصحت البلاد كاثوليكية مثلثة
 بعد ان كنت توحى الله وتؤمن محمد عليه السلام وبالقرون التى جاء
 به من عد ربه ، واستراع فلسطين من أيديا وإعطائها غنيمة باردة
 لليهود ، والقسوة المتوحشة التى تصت على الأقليات (وأحيانا
 الاكثريات) المسلمة فى البلاد التى يحكمها النصارى ، والسحائم
 لسوداء التى تلتح ما يكتبه معظم المستشرقين وكل المشركين على
 محمد عليه الصلاة والسلام ودينه الحق ثم ما نحن اولاء قد ربا
 بام 'عيننا ما فعله العرب (العرب كله ، لا الصرب وحدهم كما
 تحاول وسائل الاعلام ان تقنعنا) باحواس المسلمين فى يوعسلافيا
 السابقة ، كرهية منهم ان يسمعوا فى أوربا كلمة التوحيد

ثم كنت أقول إنه لا شىء فى هذه الآيات الكريمة يمكن أن
 يصدق على النصارى : فلا هم ينطوون لنا على أية مودة ، ولا هم
 يظهرون نحوا تواضعا إذا كان فى يدهم القوة والسلطان ، ولا أعينهم

تفصّر من الدمع عند سماعهم القرآن الكريم ، ولا هم يعترفون بالحق
ويعدون الإيمان بمحمد ودينه كذلك فإن الآت نعلل ما ذكرناه من
مودتهم للمسلمين بأن منهم قسيسين وروحانا ، فمتى كان القسيسون
والرهبان يسيّنون لآثاعهم أن رساله محمد صلى الله عليه وسلم هي
رسالة الحق وأنهم يسعى أن يؤمّوا بها ، ثم لا يكتفون بهذا بل
يسارعون إلى أن يكونوا هم أول المؤمّين ؟

وأخيرا كيف يمكن أن يقول القرآن عن النصارى إهم أقرب لنا
مودة وهو ينهانا بها حاسما في نفس السورة (الآية / ٥١) عن
موالاتهم بأية حال ؟ إذن ما وجه الحق في هذه الآيات ؟ الحقيقة أنها
قد نزلت في فريق محصور من النصارى وفدوا على المدينة وقر عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم بعض آيات القرآن فلمست قلوبهم وتفتحت
لها عقولهم وهزتهم من أعماقهم ففاض من عيونهم الدمع رقة وحنان
وتواضعا وإخسار ، وسرعان ما أعلنوا إسلامهم (١٤) . إذن فالكلام
في الآيات هو عن نصارى باعياهم وليس عن كل النصارى وقوله
سبحانه : « الذين قالوا : إنا نصارى » ليس على إطلاقه فيشمل
جنس النصارى كله ، ولكنه للعهد ، أي أن المقصود به طائفة معينة
يعرفها المخاطب بالكلام .

وقد كان في هذا الوجد عدد من القساوسة والرهبان فأشار القرآن الكريم إليهم بقوله . « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا » على أن إشارة القرآن في نظري ليست لمجرد الإخبار ، وإلا لما كان شمة داع إليها ، إذ ماذا يعيد أن نقول إنه كان في هذا الوجد قسيسون ورهبان ، إذا كان وجودهم فيه لا يقدم ولا يؤخر ؟ إن معنى « القسيس » هو العالم عندهم ، أما « الراهب » فهو العابد الذي يحاف ربه ويرهب مقامه سبحانه ويخشى عذابه . ويدو أن المقصود بقوله عز وجل « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا » أنه كان فيهم قساوسة ورهبان حقيقيون . وذلك مثلما يقول الواحد ما : « إن فلانا رجل » ، وهو لا يريد أن يشير إلى جسده وأنه رجل لا امرأة ، وإنما قصده أنه رجل بكل معاني الكلمة من المروءة والوفاء ، ويمكن الاعتماد عليه في وقت الشدة والظهر بكلمة الحق ... إلخ فكوبهم قسيسين ورهبان بحق ، أي عالمين محلصين للحقيقة يجهرون بها دوماً مواربة أو خوف أو مراعاة للمصالح والأطماع الذاتية ، وحائفين متقين لربهم يرجون رحمته ويخشون عذابه ، هو الذي جعلهم يخشعون لما سمعوه من القرآن ولا يتأثرون على ما فيه من دعوة الحق بل يسارعون إلى التصديق به وإعلان إيمانهم أمام الملأ ، مما كان له تأثير على سائر أعضاء

لوفد فأعلنوا إيمانهم معهم

يقول سيد قطب ، رحمه الله ، فى هذا الصدد - « إذا كان الواقع التاريخى قد حفظ لليهود وقتهم الكدة للإسلام منذ اليوم الاول الذى دخل فيه المسلمون عليهم المدينة فى صورة كبد لم يسته ولم يكف حتى اللحظة الحاضرة فان هذا الواقع قد حفظ كذلك للصارى الصليبيين أنهم اتحدوا مع الاسلام موقف العدا ، منذ وقعة ليرمون بين جيش المسلمين وجيوش الروم ، فيما عدا الحالات التى وقع فيها ما تصفه الآيات التى نحن بصدها فاستحالت قدوب للإسلام ودخلت فيه ، وفيها عدا حالات حرى أثرت فيها طوائف من الصارى أن تحتفى بعدل الاسلام من ظلم طوائف أخرى من الصارى كانوا يلاقون من ظلمها الوبال اما التيار العام الذى يمثل موقف الصارى حملة فهو تلك الحروب الصليبية التى لم يخبأ أوراها إلا فى الطاهر مد التقى الاسلام والرومان على صفاء اليرموك ولقد طلعت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية حليتين فى حرب الاسلام على كل ما يسهم من 'حقاد' ، ولكنهم كانوا فى حربهم للإسلام كما قال عنهم العليم لحير : « بعضهم اولاء ، بعض » حتى مزقوا دولة الخلافة ، ثم مضوا ينقضون هذا الدين عروة عروة ...

وهذا ما ينسعى أن يعيه الواعون اليوم وغدا فلا يساقوا وراء
حركات التميع الحادعة أو المخدوعة ، التى تنظر إلى أوائل مثل هذا
النص القرآسى دون متابعة لقيته ، ودون متابعة لياق السورة كله ،
ودون متابعة لتقريرات القرآن عامة ، ودون متابعة للواقع التاريخى الذى
يصدق هذا كله ، ثم تتحد من ذلك وسيلة لتخدير مشاعر المسلمين
تحاه المعسكرات التى تصمر لهم الحقد وتيت لهم الكيد ، الأمر الذى
تذل فيه هذه المعسكرات جهدها وهى بصد الصرة الأخيرة الموجهة إلى
جنور العقيدة « (١٥) .

الهوامش

- ١- المائة / ٨٢ - ٨٥
- ٢- بعضه الرهبان الذين نحل بهم سلمان الفارسي في رحلة بحثه عن الحق والدين كانوا يهيمونه بقرب مبعث من في جهة بلاد العرب
- ٣- رسائل الحافظ / ٢ / ٣٠٨ - ٣١٦
- ٤- المائة / ٧٢ - ٧٣
- ٥- آل عمران / ٥٩ - ٦٣
- ٦- التوبة / ٣٠ - ٣٢
- ٧- البقرة / ١١١
- ٨- المائة / ١٨
- ٩- البقرة / ١٣٥
- ١٠- البقرة / ١٢٠
- ١١- البقرة / ١٠٩
- ١٢- المائة / ٣٤
- ١٣- المائة / ٢٥
- ١٤- نظر في ذلك مثلاً ابن جرير الطبري / جامع البين / ٥ / ٣ و
- كثير / تفسير ابن كثير / ٢ / ٨٦ . والبوطي / الدر المنثور / ٣ / ١٢٩ - ١٣٨
- ١٥- سيد قطب / في ظلال القرآن / ٢ / ٩٦٦ - ٩٦٧ .

المصادر والمراجع

عزّز بكريم

برحمه حسن احمد / اسرسل والممود / مكسه موسى نعري / صافرة /

١٩٨٣

برحمه سليمان العجيل / معاون لهدء والتدمر في بصريه وفي لشير / ط

٥ / عاء بكتب / الرياض / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

ب نسمه / لحواف صصح ش بدل دين شبيح / مطابع مجد الصعاري

ب ن حرم / رسائل ابن حرم الأندلسي / تحقيق د . إحسان عباس / ط ١ /

مؤسسة لعرية للدراسات والنشر / بيروت / ١٩٨١م

ب ن حرم / الفصل في الملل والأهواء والنحل / تحقيق د . محمد إبراهيم نصر

ود عبد برحمه عمرة / ط ١ / مكاتب عكاظ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م

ب ن هيمه / تأويل محقق الحديث / تصحيح وصبط محمد زهري البحار / د .

الجيل / بيروت / ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٠م

ب ن في الحورية . حدة في الحار في احوية اليهود وأنصارى / تعليق مصطفى

أبو النصر لشلي / ط ١ / مكتبة السوادي / حدة . ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م

ب ن كثير / البداية وسهاية / ط ١ / مطبعة السعادة / ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م

ب ن كثير / نصير ابن كثير / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٠ هـ

ب ن هشام / سيره ب هشام / تحقيق الشا ولاياري وشلي / ط ٢ /

مصطفى البابي الحلبي / ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م

د احمد سوسة / معصل العرب واليهود في التاريخ / ط ٥ / دار الرشيد /

بغداد / ١٩٨١

- د. حمد شلبي / اليهودية / ط ٤ . مكة النهضة المصرية ١٩٧٤.
- د. - - - - - / تحليل برون / ترجمة د. خليل سعاده / مكتبة محمد علي صبح / القاهرة / ١٩٥٨م
- الحافظ / رسائل الحافظ / تحقيق عبد السلام ق. و. ط ١ / مكة
- مجامعي / ١٣٩٩ هـ = ١٩٨٩م / ٣ / ١٣
- حمدية مر. - لاغوب - سنجين / رب محمد / مركز المخطوطات مسجدة / سرب
- رموف - سعيدة / من اعجاز لقرآن العلم الاعظم في القرن عشر
- بانقرآن / دار الهلال / القاهرة / ١٩٩٤م
- د. رموف شلبي / يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ط ٢ / د
- الاقتصاد / القاهرة / ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠م
- نقص ركب برهه / نزهة واحد في الثالوث مقدس ط ١ . مرترة لينة / السويس
- لسمول من يحيى المصري / افحام اليهود / تحقيق د. محمد عبد الله
- الشرفوي / ترجمة لعامة لادارب لحيوت لعلمية ولاتنه ودمعوة ولارشاد
- الريدي / ١٤٠٧ هـ
- سيد قطب / في ظلال القرآن / ط ١٠ / دار الشروق / ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م
- نسيوطي / السر المنور / ط ١ / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٢ هـ ١٩٨٣م
- لعلامة شر احمد عثمانى / مفسر عثمانى ١ بالأوردية / مجمع علم محمد
- طباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة
- لاب سموده / مقال « لقرآن والمسيحية » / مجلة « الهلال » المصرية /

ديسمبر ١٩٧٠م .

د - صابر طعيمة / الأسفار المقدسة قبل الإسلام / ط ١ / عالم الكتب /

بيروت / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

صابر طعيمة / اليهود بين الدين والتاريخ / ط ١ / مكتبة النهضة المصرية /

١٩٧٢م .

صلاح العجماوي / جوهر الإيمان في صحيح الأديان - أهل الكتاب / ط ١ /

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

الطبري / جامع البيان / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .

عباس محمود العقاد / موسوعة العقاد الإسلامية / ط ١ / دار الكتاب

العربي / بيروت / ١٩٧٦م .

القاضي عبد الجبار / تثبيت دلائل النبوة / تحقيق د . عبد الكريم عثمان /

دار العروبة / بيروت .

عبد الجليل شلبي / رد مقتريات على الإسلام / ط ١ / دار القلم / الكويت /

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

د . عبد الحليم محمود / المنقذ من الضلال لحجة الإسلام الغزالي مع أبحاث في

التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي / ط ٨ / دار الكتب الحديثة / ١٣٩٤هـ -

١٩٧٤م .

عبد الرزاق بن همام الصنعاني / تفسير القرآن / تحقيق د . مصطفى مسلم / ط

١ / مكتبة الرشد / الرياض / ١٤١٠هـ .

أبو محمد عبد الله التريجمان الميورقي / تحفة الأريب في الرد على أهل

الصليب / دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الداعوق / ط ١ / دار البشائر الإسلامية /

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

د . على عبد الرحمن وافي / الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام /
دار نهضة مصر / القاهرة

د . فؤاد حسين على / التوراة / القاهرة .

فخر الدين الرازي / مناظرة في الرد على النصارى / تحقيق د . عبد المجيد
البحار / دار العرب الإسلامي / بيروت / ١٩٨٦ م .

انقرافي / الأجوبة الفاضلة عن الأسئلة الفاجرة / تحقيق د . بكر زكي عوض /
ط ٢ / مكتبة وهبة / ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٧ م .

كتاب المقدس / دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

محمد جلال كشك / خواطر مسلم عن الجهاد والأنجيل والأقليات / ط ٢ /
دار ثالث / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

محمد رشيد رضا / تفسير المنار / مكتبة القاهرة .

د . محمد زغللول سلام / الأدب في العصر المملوكي / دار المعارف / القاهرة /
١٩٧١ م .

محمد حمزة دروزة / تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم / المكتبة العصرية / صيدا
وبيروت / ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

محمد عزت الطهطاوي / محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام في التوراة
والإنجيل والقرآن / ط ٢ / مكتبة النور / القاهرة .

المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهندي والدكتور القسيس فندير / تحقيق
د . محمد عبد القادر خليل / ط ١ / دار ابن شيمية / الرياض / ١٤٠٥ هـ .

الموسوعة العربية الميسرة / دار الشعب / القاهرة .

تحقيق د. محمد عبد الله الشرفاوي - دار الفصحى - القاهرة - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

ول ديورانت - قصة الحضارة - ترجمة محمد بدوان - ط ٣ - لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٨٣ م

ياقوت الحموي - معجم الأدباء - ط ٣ - دار الفكر - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

Abdullah Yusuf Ali , The Holy Quran , Dar Al-Arabia , Beirut .

Basil Cottle , The Penguin Dictionary of Surnames .

Collier's Encyclopaedia , 1973 .

E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam .

Encyclopaedia of Islam , New Edition .

James Hastings , Encyclopaedia of Religion and Ethics ,
Edinburgh , 1971 .

Ludwig Ullman , Der Koran - Das heilige Buch des Islam ,
Goldmann , München .

Muhammad Hamidullah , Le Saint Coran , Beyrouth , 1973 .

The Oxford English Dictionary .

S. A. A. Maududi , The Meaning of the Qur'an , translated by
Muhammad Akbar , 2nd edition , Islamic Publications Ltd. , Lahore ,
1978 .

Dr. Salah El-dine Kechrid , Al-Qur'an al-Karim , 5 eme edition ,
Dar el-Gharb el-Islami , 1990 .

Thomas Patrick Hughes , Dictionary of Islam , Premier Book
House , Lahore .

William Smith , Dictionary of the Bible , London , 1863 .

الفهرست

- ١- رسالة الرد على النصارى ٥
- ٢- عبادة مريم ١٦
- ٣- عزير ٢٦
- ٤- هانان ٤٥
- ٥- يحيى ٨٨
- ٦- نبوة النساء ٩٩
- ٧- كلام عيسى في المهد ١١٦
- ٨- هل النصارى أقرب مودة من غيرهم للمسلمين ؟ ١٣٠
- ٩- المراجع والمصادر ١٤٣